رشاد محمود أحمد

الزهراوان

البقرة وآل عمران

وكيف تحفظ

البقرة في ٣٠ يومًا و آل عمران في ٢٠ يومًا

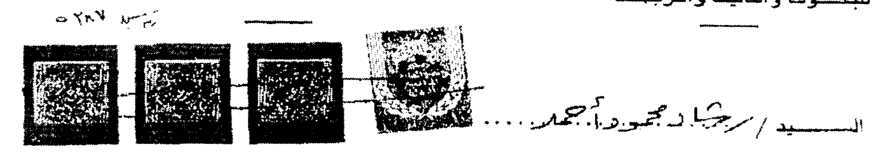
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦



نموذج رقم « ١٧ »

الأزهـــر الشريف مجمـــع البحـــوث الاســلامية الادارة العـــامة للبحـــوث والتأليف والترجمـــة	AL - AZHAR AL - SHARIF ISLAMIC RESEARCH ACADEMY GENERAL DEPARTMENT For Research, Writting & Translation

رقم سجل ٥٢٨٧



السـيد / رشاد محمود أحمد . . . .

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : جميل عباد الرحمن لحفظ آيات القرآن تفسير وبيان (الزهراوان البقرة وآل عمران) تأليفكم

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعـه ونشره على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـع .

واللــه المــوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

قسم المصحف

قسم الكتب

تحريرا في ٢٨/ ربيع الاول/ ١٤٢٥ هـ

الموافق ١٨/ ٥ / ٢٠٠٦ م

مدير عـام

ادارة البحوث والتـأليف والترجمـة

الزهراوان

البقرة وآل عمران

الطبعة الأولى ٢٠٠٤م

الطبعة الثانية ٢٠٠٤م

الطبعة الثالثة ٢٠٠٥م

الطبعة الرابعة ٢٠٠٦م

رقم الإيداع ٢٠٠٣/١٩٧٨٧

I. S. B. N. 977-6078-45-1

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى له الحمد كله ، وله الفضل كله ، وله الخلق والأمر كله ، الحمد لله الذى أنزل كتابه المبين ، هداية للعالمين ، ونورًا للمؤمنين ، ومحجّة للسالكين ، وحجّة على خلق الله أجمعين ، والحمد لله الذى جعلنا بكتابه مؤمنين ، وله تابعين ، بصّرنا به من العمى ، وعلّمنا به من الجهالة ، وهدانا به من الضلالة ، وجعله لنا ذكرًا وعزة وشرفًا فى الدنيا والآخرة فالسعيد من خلق الله من تعلّمه وعمل به ، واتخذه قائدًا ، فائتمر بأمره، ووقف عند نهيه ، وأسلم إليه قياده ، فأوصله إلى جنة الرضوان ، والشقى من أعرض عنه ، وجعله وراءه ظهريًا ، وخالفه فى أمره ونهيه ، فكبّه على وجهه فى دار الخسران .

وبعد فإنى رأيت تقديم هذا الجهد إلى إخوانى فى الله ليعينهم على فهم وتدبر القرآن الكريم ، ويعينهم على حفظ آياته .

وللوصول إلى هذا الهدف الشريف أضع بين يدى الراغبين فى حفظ القرآن أسلوبًا سهلاً وطريقة جديدة أسأل الله أن يتقبلها منى خالصة لوجهه الكريم ، وليعلم المحب فى الله أن الأمر يسير بعونه تعالى على من التزم بهذه الخطوات الموضحة فيما بعد ، وليسر فيها خطوة خطوة لا يتعدى إحداهما الأخرى وبنفس الترتيب .

وإلى البيان الموضح لهذا البرنامج . . . إلى التجارة التى لن تبور ، إلى حفظ وفهم كتاب الله ليشفع لنا يوم لا ظل إلا ظله .

أولا : فكرة الكتاب :

قبل البدء تذكر : أن العلم نور ، ونور الله لا يُهدى لعاص ، واستعن بالله ليشرح صدرك ، وقل : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً .

١ ـ هذا الكتاب بُدئ بمقدمة عامة للتعرف على موضوعات السورة وخطوطها العريضة فى رحلة تشملها من أول آية إلى آخر آية .

٢ ـ تُقسم السورة إلى عدة موضوعات تطول أو تقصر حسب الموضوع .

٣ ـ لكل درس : عنوان ، وعدد آيات ، وبرنامج للحفظ تحديدًا بعدد الأيام .

٤ ـ والخطوة الأخيرة هى : شرح الآيات كل على حدة ، آية . . آية .

٥ ـ فى أسفل الصفحة معانى الكلمات .

ثانيا: طريقة التطبيق:

١ ـ اقرأ : (هذه السورة) وفيها ستتعرف على موضوعاتها وشخصياتها لتعيش فى جوها .

٢ ـ اقرأ : الدرس الذى ستبدأ فى حفظه ولتتعرف على آياته وموضوعه .

٣ ـ انتقل بعد ذلك إلى المصحف فى الداخل لتقرأ شرح آيات الدرس فقط .

ثالثا: كيف تحفظ:

١ ـ حاول أن تقرأ على شيخ أو معلم أو أخ لك يجيد أحكام التلاوة لتطمئن على الحفظ بطريقة صحيحة (ومن الممكن سماع شريط تسجيل لآيات الدرس من مقرئ) .

٢ ـ احضر كشكولاً وقسم الصفحة بداية ونهاية حسب صفحة المصحف الذى معك لتكتب الآية التى حفظتها ، فهذا الأسلوب يفيدك فى رسم الآية فى ذاكرتك .

٣ ـ احفظ من مصحف واحد (أى طبعة معينة) لأن صفحته سترتسم أمام عينيك .

٤ ـ ردد ما حفظته دومًا ـ فى صلاتك (الفرائض والنوافل) .

٥ ـ عند البدء فى درس جديد تأكد من مراجعة الدرس السابق .

وفى الختام نورد حديثًا عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ يوصى به على بن أبى طالب رضى الله عنه عندما شكا له تفلت القرآن من صدره ، وهذا نصه :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء علىّ بن أبى طالب فقال : بأبى أنت وأمى تَفَلَّتَ هذا القرآن من صدرى ، فما أجدنى أقدر عليه ، فقال له رسول الله ﷺ : «يا أبا الحسن : أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، وينفع بهنّ من علمته ، ويُثبت ما تعلمت فى صدرك ؟» قال : أجل يا رسول الله فعلمنى ، قال : «إذا كان ليلة الجمعة ، فإن استطعت أن تقوم ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة ، والدعاء فيها مستجاب ، وقد قال أخى يعقوب لبنيه : ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ﴾ ـ يقول : حتى تأتى ليلة الجمعة ، فإن لم تستطع فقم فى وسطها ، فإن لم تستطع فقم فى أولها ، فصلّ أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم (الدخان) ، وفى الركعة

الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل (السجدة)، وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله، وصلِّ علىَّ وأحسن، وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل فى آخر ذلك: اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدًا ما أبقيتنى، وارحمنى أن أتكلف ما لا يعنينى وارزقنى حسن النظر فيما يُرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا تُرام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تُلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يُرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا تُرام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تُنوِّر بكتابك بصرى، وأن تُطلق به لسانى، وأن تُفَرِّجَ به عن قلبى، وأن تشرح به صدرى، وأن تغسل به بدنى، فإنه لا يُعيننى على الحق غيرك، ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جُمع، أو خمسًا، أو سبعًا، تُجَب بإذن الله، والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمنًا قط».

قال ابن عباس: فوالله ما لبث علىٌّ إلا خمسًا، أو سبعًا حتى جاء رسول الله ﷺ فى مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول الله، إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن، فإذا قرأتهن على نفسى تفلَّتْن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينى، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث؛ فإذا تحدثت بها لم أُخْرِم منها حرفًا، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن»[1].

وفى الختام نسأل الله لنا ولكم التوفيق... فنعم المولى الذى يتولانا جميعًا بحسن ثوابه، وأن يجعل هذا العمل منى فيما يتقبله من صالح أعمال عباده وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. وصلى الله وسلم وبارك على عبده المجتبى ورسوله المصطفى نبينا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

رشاد محمود أحمد

ت: ٠١٠/٥٠٥٦٣١٤
E-mail : sabil_rashad@yahoo.com

القاهرة فى ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ
٢٥ أغسطس ٢٠٠٣م

(١) رواه الترمذى.

فضل تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتعليمه

❖ فضل تلاوة القرآن:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠).

قال رسول الله ﷺ: «الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن يتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[١]. وقال ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[٢]. وقال ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله، فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[٣]. وقال ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[٤]. وقال ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب: منعته الطعام والشهوة، فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم فى الليل فشفعنى فيه، قال: فيشفعان»[٥]. وقال ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل: ورجل آتاه الله مالاً، فهو يهلكه فى الحق، فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل»[٦]. وقال أبو هريرة: «إن البيت الذى يتلى فيه القرآن، اتسع بأهله، وكثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، وإن البيت الذى لا يتلى فيه القرآن، ضاق بأهله، وقل خيره، وخرجت منه الملائكة، وحضرته الشياطين[٧].

❖ فضل حفظ القرآن:

روى ابن عباس مرفوعًا: «إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب»[٨].

---

(١) متفق عليه: البخارى (٤٦٥٣)، مسلم (٧٩٨).

(٢) مسلم (٨٠٤) من حديث أبى أمامة.

(٣) أحمد (١٩٤٧)، الترمذى (٢٩١٤) من حديث ابن مسعود.

(٤) الترمذى (٢٩٢٦) من حديث أبى سعيد الخدرى.

(٥) أحمد (٦٦٢٦)، الحاكم (٢٠٣٦)، مجمع الزوائد ٨/ ١٨١و١٠/ ٣٨١ من حديث عبد الله بن عمرو وقال الهيثمى: وإسناده حسن.

(٦) البخارى (٤٦٣٨) من حديث أبى هريرة.

(٧) البخارى (٤٧٣٨) من حديث أبى هريرة.

(٨) الترمذى (٢٩١٣) وقال: حسن صحيح.

وكان رسول الله ﷺ يكرم أصحاب القرآن وحملته ويعرف لهم منازلهم، ويقدمهم على غيرهم. فعن أبي هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عدد فاستقرأهم: كل رجل منهم - يعني ما معه من القرآن - فأتى على رجل من أحدثهم سنًا، فقال: «ما معك يا فلان؟» قال معي كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: «أمعك سورة البقرة؟» قال: نعم. قال: «اذهب فأنت أميرهم»، فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية ألا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن واقرأوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه، كمثل جراب محشو مسكًا، يفوح ريحه في كل مكان، ومن تعلمه فيرقد - وهو في جوفه - فمثله كمثل جراب أوكى على مسك»[1].

وعنه ﷺ قال: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب حَلِّه فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارْق، ويزداد بكل آية حسنة، وليست مثوبة الله في الآخرة مقصورة على صاحب القرآن وحده، بل إن نورها ليشمل أبويه، وينالهما قبس منه ببركة القرآن»[2].

فعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به، أُلبس يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والداه حُلَّتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»[3]، وقال ابن مسعود: «إن أصفر البيوت: بيت ليس فيه شيء من كتاب الله»[4]. ومعنى أصفرها - بالفاء - أي أخلاها من الخير والبركة.

❖ تعليم القرآن:

روى البخاري في صحيحه عن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه»[5] فالقرآن أفضل ما يتعلم، وأفضل ما يعلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[6].

---

(١) الترمذي (٢٨٧٦) وقال: حسن.

(٢) الترمذي (٢٩١٥)، والحاكم في المستدرك (٢٠٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٩٦) من حديث أبي هريرة، قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٢٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٩، والضعفاء للعقيلي ١/ ١٤٣ مقتصرًا على آخره.

(٤) ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٧).

(٥) البخاري (٤٧٣٨)، وأبو داود (١٤٥٢)، وغيرهما.

(٦) مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥)، وابن ماجة (٢٢٥).

أولاً:

سورة البقرة

القسم الأول: دروس السورة.

القسم الثاني: تفسير وبيان وأسباب النزول ومعانى الكلمات.

(جميع أسباب نزول الآيات المذكورة أخذت من كتاب:

أسباب النزول: للنيسابورى)

سُورَةُ البَقَرَةِ

سورة البقرة: قيل هى أول سورة نزلت بالمدينة، وقال بعض العلماء: وهى مشتملة على ألف خبر وألف أمر وألف نهى، آياتها ٢٨٦ آية وكلماتها ٦٢٢١ كلمة وحروفها ٢٥٥٠٠ حرف.

وهذه السورة أطول سور القرآن الكريم وأحفلها بالتعاليم المنوعة . . .

وخلال المتقين التى أحصتها سورة البقرة كثيرة، فقد تكررت مادة التقوى خلال السورة بضعًا وثلاثين مرة، والتقوى هى الصفة الجامعة التى طُلبت من سائر الأمم فى شتى الرسالات.

وتمتاز سورة البقرة بأنها تحدثت عن أركان الإسلام الخمسة.

وتبدأ السورة بوصف الطوائف التى واجهت الدعوة أول العهد بالهجرة، ثم تجىء قصة استخلاف آدم فى الأرض، بعد هذا يبدأ السياق جولة واسعة طويلة مع بنى إسرائيل ومن ثم تتضمن السورة حملة قوية على أفاعيلهم وعند هذا الحد يبدأ السياق يتجه إلى النبى ﷺ وإلى الجماعة المسلمة، وفى تمييز هذه الجماعة بطابع خاص، ويبدأ فى تعيين القبلة التى تتجه إليها هذه الجماعة وهى البيت الحرام ثم تمضى السورة فى بيان المنهج الربانى لهذه الجماعة المسلمة وتبين لهم بعض الحلال والحرام فى المطاعم والمشارب، وتبين لهم حقيقة البر وأحكام القصاص فى القتلى وأحكام الوصية، وأحكام الصوم، وأحكام الجهاد، وأحكام الحج، وأحكام الزواج والطلاق مع التوسع فى دستور الأسرة بصفة خاصة، وأحكام الصدقة، وأحكام الربا وأحكام الدّين والتجارة وفى مناسبات معينة يرجع السياق إلى الحديث عن بنى إسرائيل من بعد موسى، وعن حلقات من قصة إبراهيم، وفى النهاية يتناسق البدء والختام وتتجمع موضوعات السورة بين صفتين من صفات المؤمنين وخصائص الإيمان.

وقال صاحب «المنار» فى خلاصة سورة البقرة (خطاب أمة الإجابة بالفروع العملية): ولخصها فى واحد وعشرين فرعًا، وفى (الأصول والقواعد الشرعية العامة فى سورة البقرة): أوردها فى ثلاثة وثلاثين قاعدة (ويقول الشيخ محمد رشيد رضا) هذا ما فتح الله به علىَّ بتصفح صحائف السورة دون تلاوتها ويمكن الزيادة عليها بالتأمل فيها وتدبرها.

ويقول الشيخ محمد الغزالى فى كتابه (نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم) فى ختام سورة البقرة: (وقد صح أن النبى ﷺ قدم شابًا - هو أحدث من معه سنًا - فولاه القيادة، لأنه

كان يحفظ سورة البقرة!! إنه لا يحفظها أحرفًا وأنغامًا، وإنما يحفظها إلهامًا وأحكامًا، ونورًا وفرقانًا، وهكذا تُبنى الأمم . .

(وسميت هذه السورة بالبقرة على أساس قصة البقرة التى وردت فيها (آيات ٦٧ - ٧٣) إلا أن هذا الاسم لم يطلق كعنوان على موضوع السورة ومن الخطأ أن نترجم اسم (البقرة) إلى اللغات الأخرى والعكس بالعكس، والجزء الأكبر من سورة البقرة نزل خلال العامين الأولين من حياة الرسول ﷺ فى يثرب، أما الجزء الأصغر والذى نزل فى فترة أخرى فقد وضع فى هذه السورة لأن ما يحويه يتصل تمامًا بما قد عولج فيها) .

❖ **فضل سورة البقرة:**

قال رسول الله ﷺ: «البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكًا واستُخرجت ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة، ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الدنيا والدار الآخرة إلا غفر له واقرؤوها على موتاكم»[1] .

وعنه ﷺ: «لكل شىء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى» .

وعنه ﷺ: «قال: لا تجعلوا بيوتكم قبورًا فإن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»[2] .

وعنه ﷺ: «إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه»[3] .

وعنه ﷺ: «إن الشيطان يفرّ من البيت يسمع فيه سورة البقرة»[4] .

وعنه ﷺ: «إن لكل شىء سنامًا وإن سنام القرآن البقرة وإن من قرأها فى بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ومن قرأها فى بيته نهارًا لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام»[5] .

وعن عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدّثوه أن رسول الله ﷺ قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح قال: «فلعله قرأ سورة البقرة» قال: فسألت ثابتًا، فقال: قرأت سورة البقرة[6] .

---

(١) أحمد (٥/ ٢٦)، والترمذى (٢٨٧٨) من حديث معقل بن يسار .

(٢) مسلم (٧٨٠) من حديث أبى هريرة .

(٣) الترمذى (٢٨٧٧) من حديث أبى هريرة، وقال: هذا حديث حسن صحيح .

(٤) الترغيب والترهيب ٢/ ٢٤٠ من حديث أبى هريرة .

(٥) أبو يعلى فى مسنده (٧٥٥٤)، والبيهقى فى الشعب (٢٣٧٨) من حديث سهل بن سعد .

(٦) ينظر فتح البارى ٩/ ٥٧، وتحفة الأحوذى ٨/ ١٥٧ .

الدرس الأول

(الطوائف التى واجهتها الدعوة فى المدينة المنورة)

من الآية رقم (١) من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ...﴾
إلى الآية رقم (٢٩) إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم...﴾
(مدة حفظ الدرس): (ثلاثة أيام)

فى هذا الدرس نجد الملامح الأساسية للطوائف التى واجهتها الدعوة فى المدينة باستثناء طائفة اليهود التى ترد إشارة صغيرة لها، ولكنها كافية.

وهنا وفى عدد قليل من الكلمات والعبارات فى أول السورة ترتسم ثلاث صور لثلاثة أنماط من النفوس:

أولاً: المتقون: ويبين صفاتهم وهى صفة السابقين من المؤمنين فى المدينة.

ثانيًا: الكافرون: وهى صورة تمثل مقومات الكفر فى كل أرض وفى كل حين.

ثالثًا: المنافقون: وهى صورة تتلوى فى الحس وتزوغ من البصر وتخفى وتبين.

فالصورة الأولى: شفافية وسماحة.

والصورة الثانية: عتامة وصفاقة

والصورة الثالثة: وهى نموذج مكرر فى أجيال البشرية جميعًا.

❖ وعندما يتم استعراض الصور الثلاث يرتد السياق فى السورة نداء للناس كافة وأمرًا للبشرية جمعاء أن تختار الصورة الكريمة المستقيمة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

❖ ولقد كان اليهود يشككون فى صحة رسالة النبى ﷺ وكان المنافقون يرتابون فيها . . . فههنا يتحدى القرآن الجميع بتجربة واقعية:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ...﴾ وما زال هذا التحدى قائمًا إلى يومنا هذا، والتحدى عجيب، والجزم بعدم إمكانه أعجب.

❖ وهنا يعرض القرآن مشهدًا مرعبًا، وهو صورة الناس والحجارة المعدة للكافرين ﴿فَٱتَّقُوا۟

﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ ، ومشهد النعيم الذى ينتظره المؤمنون ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ .

❖ بعد ذلك يجىء الحديث عن الأمثال التى يضربها الله فى القرآن الكريم فجاءت هذه الآيات بيانًا لحكمة الله فى ضرب الأمثال . . . وتحذيراً لغير المؤمنين من عاقبة الاستدراج بها وتطمينًا للمؤمنين أن ستزيدهم إيمانًا ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ .

❖ ثم يتوجه إلى الناس باستنكار كفرهم بالله المحيى المميت الخالق الرازق المدبر العليم : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ...﴾ .

وهكذا تنتهى الجولة الأولى فى السورة وكلها تركز على الإيمان والدعوة إلى اختيار موكب المؤمنين المتقين .

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٤٧) إلى صـ (٥٠)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	١١	٢١
	إلى	١٠	٢٠	٢٩

الدرس الثانى

« قصة البشرية الأولى »
(قصة آدم)

من الآية رقم (٣٠) من قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ...﴾
إلى الآية رقم (٣٩) إلى قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ...﴾
(مدة حفظ الدرس) : (يوم واحد)

❖ إن السياق يستعرض موكب الحياة ، بل موكب الوجود كله ، ثم يتحدث عن الأرض فى معرض آلاء الله على الناس - فيقرر أن الله خلق كل ما فيها لهم .

❖ ها نحن أولاء نسمع فى ساحة الملأ الأعلى قصة البشرية الأولى :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ : فهى المشيئة العليا .

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ : فلقد خفيت عليهم حكمة المشيئة العليا .

﴿قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ : فجاءهم القرار من العليم بكل شىء .

❖ ثم يجىء التكريم فى أعلى صوره لهذا المخلوق الذى يعيش فى الأرض ويسفك الدماء : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ .

وهنا تتبدى خليقة الشر مجسمة : عصيان الجليل سبحانه والاستكبار عن معرفة الفضل لأهله ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ .

❖ ثم تجىء التجربة وينسى آدم عهده ويضعف أمام الغواية وعندئذ حقت كلمة الله :

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ . . ونسى آدم عهده وضعف أمام الغواية .

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ . وكان الشيطان يزحزحهما عن الجنة .

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ . . وكانت بداية المعركة بين الشيطان والإنسان .

❖ ونهض آدم من عثرته بما رُكِبَ فى فطرته وأدركته رحمة به : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ . .

❖ وتمت كلمة الله الأخيرة وعهده الدائم مع آدم وذريته : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم

مّنّي هُدًى﴾ . .

إن أبرز إيحاءات قصة آدم - كما وردت فى هذا الموضع - هو القيمة الكبرى التى يعطيها التصور الإسلامى للإنسان ولدوره فى الأرض .

ومن هذه النظرة للإنسان تنبثق جملة اعتبارات ذات قيمة كبيرة فى عالم التصور وفى عالم الواقع على السواء .

وأول اعتبار هو أن الإنسان سيد هذه الأرض .

والاعتبار الثانى هو أن دور الإنسان فى الأرض هو الدور الأول .

والاعتبار الثالث هو إعلاء القيم الأدبية فى وزنه وتقديره .

والاعتبار الرابع هو إعلاء من شأن الإرادة فى الإنسان .

والاعتبار الخامس : فكرة الإسلام عن الخطيئة والتوبة . . فالخطيئة فردية والتوبة فردية هذا طرف من إيحاءات قصة آدم . ومفرق الطريق فيه أن يسمع الإنسان ويطيع لما يتلقاه من الله ، أو أن يسمع الإنسان ويطيع لما يمليه عليه الشيطان ، وليس هناك طريق ثالث ، إما الله وإما الشيطان . إما الهدى وإما الضلال إما الحق وإما الباطل إما الفلاح وإما الخسران .

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٥٠) إلى صـ (٥١)

الدرس الثالث

(مواجهة بنى إسرائيل)

من الآية رقم (٤٠) من قوله تعالى : ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ...﴾
إلى الآية رقم (٧٤) إلى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ...﴾
(مدة حفظ الدرس) : (ثلاثة أيام)

❖ ابتداء من هذا المقطع فى السورة يواجه السياق بنى إسرائيل ، أولئك الذين واجهوا الدعوة فى المدينة مواجهة نكرة ، وقاوموها مقاومة خفية وظاهرة ، وكادوا لها كيداً موصولاً لم يفتر لحظة منذ أن ظهر الإسلام فى المدينة ، وتبين لهم أنه فى طريقه إلى الهيمنة على مقاليدها .

❖ هذه المعركة التى شنها اليهود على المسلمين منذ ذلك التاريخ البعيد لم يَخْبُ خوارها حتى اللحظة الحاضرة .

❖ يبدأ هذا الدرس بنداء علوى جليل إلى بنى إسرائيل يذكرهم بنعمته تعالى عليهم .

❖ ثم يبدأ فى تذكيرهم بنعم الله التى أسبغها عليهم فى تاريخهم الطويل .

❖ ويعاود تخويفهم باليوم الذى يُخاف ، حيث لا تجزى نفس عن نفس شيئًا .

❖ ويستحضر أمام خيالهم مشهد نجاتهم من فرعون وملئه كأنه حاضرٌ ، ومشهد النعم الأخرى التى ظلت تتوالى عليهم .

❖ هذه الحملة كانت ضرورية أولاً وقبل كل شيء لتحطيم دعاوى يهود وكشف كيدها وقد تخللت توجيهات ظاهرة وخفية للمسلمين لتحذيرهم من تلك المزالق .

❖ ثم أعقب هذه الجولة فذكر عهد الله معهم ونكثهم له ، ونعمته عليهم وجحودهم بها ، ورتب على هذا حرمانهم من الخلافة ، وكتب عليهم الذلة ، وحذر المسلمين كيدهم ، كما حذرهم مزالقهم ، فكانت هناك صلة بين قصة استخلاف سيدنا آدم وقصة استخلاف بنى إسرائيل .

❖ وأخيرًا تجيء قصة الرجل الذى قتله ابن أخيه استعجالاً لإرثه وذهبوا لموسى يسألونه وكانت (قصة البقرة) .

❖ وقصة بنى إسرائيل هـى أكثر القصص ورودًا فى القرآن الكـريم ، والعناية بعرض مواقفها وعبرتها ظاهـرة ، توحـى بحكمـة الله فى علاج أمـر هـذه الأمـة المسلمـة ، وتربيتها وإعـدادها للخلافة الكبرى .

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٥٢) إلى صـ (٥٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٤٠	٥٣	٦٢
	إلى	٥٢	٦١	٧٤

الدرس الرابع

(حديث إلى الجماعة المسلمة عن بنى إسرائيل)

من الآية رقم (٧٥) من قوله تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ...﴾

إلى الآية رقم (١٠٣) إلى قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ...﴾

(مدة حفظ الدرس) : (ثلاثة أيام)

❖ يأخذ السياق هنا فى الاتجاه بالخطاب إلى الجماعة المسلمة يحدثها عن بنى إسرائيل ويبصرها بأساليبهم فى الكيد والفتنة ، ويحذرها كيدهم ومكرهم على ضوء تاريخهم وجبلتهم ، فلا تنخدع بأقوالهم ودعاويهم ووسائلهم الماكرة فى الفتنة والتضليل ، ويدل طول هذا الحديث وتنوع أساليبه على ضخامة ما كانت تعانيه وتلقاه الجماعة المسلمة من الكيد المنصوب لها والمرصود لدينها من أولئك اليهود .

❖ يستعرض السياق جدالهم مع الجماعة المسلمة وحججهم ودعاويهم الباطلة ويُلقن الرسول ﷺ أن يفضح دعاويهم ، ويفند حججهم ويكشف زيف ادعاءاتهم ويرد عليهم كيدهم بالحق الواضح الصريح .

فلقد زعموا أن لن تمسهم النار ، فكان الرد عليهم : ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا...﴾ .

وكانوا إذا دُعوا إلى الإسلام قالوا : ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾

وكانوا يَدّعون أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس : ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ .

وهكذا يمضى السياق فى هذه المواجهة ، وهذا الكشف ، وهذا التوجيه ، ومن شأن هذه الخطة أن تُضْعِفَ أو تُبْطِلَ كيد اليهود فى العمل والكيد والادعاء على ضوء ما وقع منهم فى تاريخهم القديم .

وما تزال الأمة المسلمة تعانى من دسائس اليهود ومكرهم ما عاناه أسلافها من هذا المكر ومن تلك الدسائس .

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٥٦) إلى صـ (٦١) **برنامج الحفظ**

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٧٥	٨٤	٩٢
	إلى	٨٣	٩١	١٠٣

الدرس الخامس
(كشف دسائس اليهود وكيدهم للإسلام والمسلمين)

من الآية رقم (١٠٤) من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا...﴾

إلى الآية رقم (١٢٣) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا...﴾

(مدة حفظ الدرس): (ثلاثة أيام)

❖ يمضى هذا الدرس فى كشف دسائس اليهود وكيدهم للإسلام والمسلمين وتحذير الجماعة المسلمة من ألاعيبهم وحيلهم، وما تكنه نفوسهم للمسلمين من الحقد والشر وما يبيتون لهم من الكيد والضر، ونهى الجماعة المسلمة عن التشبه بهؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب فى قول أو فعل.

❖ ويبدو أن اليهود كانوا يتخذون من نسخ بعض الأوامر والتكاليف وتغييرها وفق مقتضيات النشأة الإسلامية الجديدة ذريعة للتشكيك فى مصدر هذه الأوامر والتكاليف.

❖ واشتدت هذه الحملة عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بعد ستة عشر شهراً من الهجرة فاتخذ اليهود من هذا التوجه حجة على أن دينهم هو الدين، وقبلتهم هى القبلة ولذلك كان هذا التحول لدحض هذه الحجة فشنوا حملة دعاية ماكرة فى وسط المسلمين وقالوا لهم: إن كان التوجه إلى بيت المقدس باطلاً فقد ضاعت صلاتكم وعبادتكم طوال هذه الفترة، وإن كان صحيحًا ففيم التحول عنه؟

❖ ويبدو أن هذه الحملة الخبيثة الماكرة آتت ثمرتها الكريهة فى بعض نفوس المسلمين.

❖ ثم يقطع نيتهم التى يخفونها من وراء قصة القبلة وهى منع الاتجاه إلى الكعبة بيت الله ومسجده الأول ويعده منعًا لمساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعيًا فى خرابها.

❖ ويمضى السياق فى هذا الدرس على هذا النحو حتى ينتهى إلى أن يضع المسلمين وجهًا لوجه أمام الهدف الحقيقى لأهل الكتاب من اليهود والنصارى.. إنه تحويل المسلمين من دينهم إلى دين أهل الكتاب، ولن يرضوا عن النبى ﷺ حتى يتبع ملتهم، وإلا فهى الحرب والكيد والدس إلى النهاية!

وهذه هى حقيقة المعركة التى تكمن وراء الأباطيل والأضاليل وتتخفى خلف الحجج والأسباب المقنَّعة!!!!

تفسير آيات هذا الدرس

من صـ (٦١) إلى صـ (٦٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١٠٤	١١١	١١٨
	إلى	١١٠	١١٧	١٢٣

الدرس السادس

(قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)

من الآية رقم (١٢٤) من قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ...﴾
إلى الآية رقم (١٤١) إلى قوله تعالى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ...﴾
(مدة حفظ الدرس) : (يومان)

❖ الآن يرجع السياق إلى مرحلة تاريخية أسبق من عهد موسى . . . يرجع إلى إبراهيم . . . وقصة إبراهيم تؤدى دورًا هامًا فيما شجر بين اليهود والجماعة المسلمة فى المدينة من نزاع حاد متشعب الأطراف .

❖ إن أهل الكتاب ليرجعون بأصولهم إلى إبراهيم عن طريق إسحاق عليهما السلام ويعتزون بنسبتهم إليه . . . ومن ثم يحتكرون لأنفسهم الهدى والقوامة على هذا الدين ، كما يحتكرون لأنفسهم الجنة أيا كانوا يعملون ! !

❖ وإن قريشًا لترجع كذلك إلى إبراهيم عن طريق إسماعيل عليهما السلام وتعتز بنسبتها إليه وتستمد منها القوامة على البيت ، وعمارة المسجد الحرام ، وتستمد كذلك بسلطانها الدينى على العرب وفضلها وشرفها ومكانتها .

❖ والآن يجيء الحديث عن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق والحديث عن البيت الحرام وبنائه وعمارته وشعائره فى جوه المناسب لتقرير الحقائق الخالصة فى ادعاءات اليهود والنصارى والمشركين جميعًا حول هذا النسب وهذه الصلات ولتقرير قضية القبلة التى ينبغى أن يتجه إليها المسلمون .

❖ كذلك تجيء المناسبة لتقرير حقيقة دين إبراهيم وهى التوحيد الخالص وبيان أن العقيدة تراث القلب المؤمن لا تراث العصبية العمياء .

❖ عندئذ تسقط كل دعاوى اليهود والنصارى فى اصطفائهم واجتبائهم لمجرد أنهم أبناء إبراهيم وحفدته وهم ورثته وخلفاؤه .

❖ لقد سقطت عنهم الوراثة منذ أن انحرفوا عن هذه العقيدة . . . وعندئذ تسقط كذلك دعاوى قريش فى الاستئثار بالبيت الحرام وشرف القيام عليه وعمارته لأنهم فقدوا حقهم فى وراثة بانى هذا البيت ورافع قواعده بانحرافهم عن عقيدته . . ثم تسقط كل دعاوى اليهود فيما يختص بالقبلة التى ينبغى أن يتجه إليها المسلمون ، فالكعبة هى قبلتهم وقبلة أبيهم إبراهيم .

برنامج الحفظ

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٦٤) إلى صـ (٦٦)

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١٢٤	١٣٣
	إلى	١٣٢	١٤١

الدرس السابع

(حادث تحويل القبلة)

من الآية رقم (١٤٢) من قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ...﴾
إلى الآية رقم (١٥٢) إلى قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

❖ الحديث فى هذا الدرس يكاد يقتصر على حادث تحويل القبلة، والملابسات التى أحاطت به والدسائس التى حاولها اليهود فى الصف المسلم بمناسبته والأقاويل التى أطلقوها من حوله، ومعالجة آثار هذه الأقاويل فى نفوس بعض المسلمين وفى الصف المسلم على العموم.

❖ وعلى أية حال فقد كان التوجه إلى بيت المقدس - وهو قبلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى - سببًا فى اتخاذ اليهود إياه ذريعة للاستكبار عن الدخول فى الإسلام، إذ أطلقوا فى المدينة ألسنتهم بالقول بأن اتجاه محمد ومن معه إلى قبلتهم فى الصلاة دليل على أن دينهم هو الدين وقبلتهم هى القبلة وأنهم هم الأصل فأولى بمحمد ومن معه أن يفيئوا إلى دينهم لا أن يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام.

❖ وفى الوقت ذاته كان الأمر شاقًا على المسلمين من العرب الذين ألفوا فى الجاهلية أن يعظموا حرمة البيت الحرام وأن يجعلوه كعبتهم وقبلتهم، وزاد الأمر مشقة ما كانوا يسمعون من اليهود من التبجح بهذا الأمر واتخاذه حجة عليهم.

❖ وكان الرسول ﷺ يقلب وجهه فى السماء متجهًا إلى ربه، دون أن ينطق لسانه بشىء تأدبًا مع الله وانتظارًا لتوجيهه بما يرضاه. ثم نزل القرآن يستجيب لما يعتمل فى صدر الرسول ﷺ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾. عندئذ انطلقت أبواق - اليهود - تُلقى فى صفوف المسلمين وقلوبهم بذور الشك والقلق فى قيادتهم وفى أساس عقيدتهم.

❖ وتتبين لنا ضخامة ما أحدثته هذه الحملة فى نفوس المسلمين وفى الصف الإسلامى من مراجعة ما نزل من القرآن فى هذا الموضوع، منذ قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ وقد استغرق درسين كاملين فى الجزء الأول.

❖ كلمة أخيرة: (لقد كان اتجاه المسلمين فترة من الزمان إلى المسجد الأقصى الذى يتجه إليه اليهود والنصارى، فقد كان هذا التوجه لحكمة خاصة وبعدما أراد الله وقد شاء أن يعهد بالوراثة إلى الأمة المسلمة يجىء تحويل القبلة فى أوانه لتتميز للمسلمين كل خصائص الوراثة حسها وشعورها؛ وراثة الدين ووراثة القبلة ووراثة الفضل من الله جميعًا).

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٦٦) إلى صـ (٦٨)

الدرس الثامن

(توجيهات للأمة المسلمة)

من الآية رقم (١٥٣) من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ...﴾
إلى الآية رقم (١٥٧) إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ...﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

❖ ذلك هو أول توجيه لهذه الأمة الإسلامية . . الاستعانة بالصبر والصلاة على تكاليف هذا الدور العظيم والاستعداد لبذل التضحيات التى يتطلبها هذا الدور من استشهاد الشهداء ونقص الأموال والأنفس والثمرات والخوف والجوع ومكابدة أهوال الجهاد لإقرار منهج الله فى الأنفس وإقراره فى الأرض، وربط قلوب هذه الأمة بالله ورحمته وهدايته، وهى وحدها جزاء ضخم للقلب المؤمن، الذى يدرك قيمة هذا الجزاء.

❖ علم الله تعالى ما سيلاقيه المؤمنون، وما يقوله لهم الناس وما يقول الضعفاء فى أنفسهم: كيف تبذل هذه النفوس وتستهدف للقتل بمخالفة الأمم كلها؟ وما الغاية من قتل الإنسان نفسه لأجل تعزيز رجل فى دعوته؟ . . . فعلمهم الله سبحانه وتعالى ما يستعينون به على مجاهدة الخواطر والهواجس ومقاومة الشبهات والوساوس، فأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٦٨) إلى صـ (٦٩)

الدرس التاسع

(تصحيح ومواجهة)

من الآية رقم (١٥٨) من قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾
إلى الآية رقم (١٧٧) إلى قوله تعالى : ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾
(مدة حفظ الدرس) : (يومان)

❖ فى هذا الدرس تصحيح عدد من القواعد التى يقوم عليها التصور الإيمانى الصحيح .

❖ مواجهة يهود المدينة وكل من يرصدون للدعوة .

❖ يستهدف هذا الدرس عددًا من القواعد التى يقوم عليها التصور الإيمانى الصحيح مع الاستمرار فى مواجهة يهود المدينة الذين لا يكفون عن تلبيس الحق بالباطل فى هذه القواعد، وكتمان الحق الذى يعلمونه فى شأنها ، وإيقاع البلبلة والاضطراب فيها .

❖ ومن ثم نجد بيانًا فى موضوع الطواف بالصفا والمروة بسبب ما كان يلابس هذا الموضوع من تقاليد الجاهلية ، ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ .

❖ ويليه فى السياق بيان فى شأن أهل الكتاب الذين يكتمون ما أنزل الله .

❖ ثم بيان الوحدانية لله .

❖ وبمناسبة ما كان يجادل فيه اليهود من الحلال والحرام تجىء دعوة الناس بالاستمتاع بالطيبات التى أحلها الله .

❖ ومن ثم حملة عنيفة على الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلاً .

❖ وفى نهاية الدرس يرد بيان عن حقيقة البر يتضمن قواعد الإيمان والعمل الصالح .

❖ وهكذا نجد السياق ما زال فى المعركة داخل النفوس لتصحيح التصورات والموازين ، والمعركة مع الكيد والدس والبلبلة التى يقوم بها أعداء الإسلام .

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٦٩) إلى صـ (٧٢)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١٥٨	١٧٠
	إلى	١٦٩	١٧٧

الدرس العاشر

(التنظيمات الاجتماعية للمجتمع المسلم)

من الآية رقم (١٧٨) من قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾
إلى الآية رقم (١٨٨) إلى قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم﴾
(مدة حفظ الدرس) : (يوم واحد)

هذا الدرس يتضمن جانبًا من التنظيمات الاجتماعية للمجتمع المسلم كما يتضمن جانبًا من العبادات المفروضة .

ففى هذا الدرس أيضا :

حديث عن القصاص فى القتلى وتشريعاته .

وحديث عن الوصية عند الموت .

وحديث عن فريضة الصيام ؛ وشعيرة الدعاء ؛ وشعيرة الاعتكاف .

وفى التعقيب على القصاص ترد إشارة إلى التقوى : ﴿وَلَكُمۡ فِى ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَـٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ .

وفى التعقيب على الوصية ترد إشارة إلى التقوى : ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ .

وفى التعقيب على الاعتكاف إشارة أخرى إلى التقوى ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ .

ولا تتعدى التعقيبات القليلة الباقية فى الدرس عن معنى التقوى واستجاشة الحساسية والشعور بالله فى القلوب فتجىء هذه التعقيبات : ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ . ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.... إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

وحدة واحدة تنظيمات اجتماعية ، وقواعد تشريعية ، وشعائر تعبدية كلها منبثقة من العقيدة فيه وكلها نابعة من التصور الكلى الذى تنشئه هذه العقيدة . وهذا الدرس بمجموعة الموضوعات التى يحتويها والتعقيبات التى يتضمنها نموذج واضح لهذا الترابط المطلق فى هذا الدين .

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٧٢) إلى صـ (٧٤)

الدرس الحادى عشر

(الفرائض)

من الآية رقم (١٨٩) من قوله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ...﴾
إلى الآية رقم (٢٠٣) إلى قوله تعالى : ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ...﴾
(مدة حفظ الدرس) : (يومان)

هذا الدرس كسابقه استطرادًا فى بيان فرائض هذه الأمة فيتضمن بيانًا عن الأهلة (جمع هلال) كما يتضمن تصحيحًا لعادة جاهلية هى إتيان البيوت من ظهورها بدلاً من أبوابها ثم بيانًا عن أحكام القتال عامة ، وأحكام القتال فى الأشهر الحرم ، وعند المسجد الحرام وفى النهاية بيانًا لشعائر الحج والعمرة .

وهكذا نرى هنا ، كما رأينا فى الدرس السابق :

- أحكامًا تتعلق بالتصور الاعتقادى .
- وأحكامًا تتعلق بالشعائر والتعبدية .
- وأحكامًا تتعلق بالقتال .

كلها تتجمع فى نطاق واحد . . . وكل يعقب عليها تعقيبات تذكر بالله وتقواه .

١ ـ فى موضوع إتيان البيوت من ظهورها يجيء تعقيب يصحح معنى البر ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ .

٢ ـ وفى القتال بصفة عامة يوجههم إلى عدم الاعتداء ويربط هذا بحب الله وكرهه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ .

٣ ـ وفى القتال فى الشهر الحرام ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

٤ ـ وفى الإنفاق يعقب بحب المحسنين ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

٥ ـ وفى التعقيب على بعض شعائر الحج ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

٦ ـ وفى التعقيب على بيان مواقيت الحج والنهى عن الرفث والفسوق والجدال ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ .

٧ - وحتى فى توجيه الناس لذكر الله بعد الحج يجىء التعقيب : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

وهناك ظاهرة فى هذه السورة تطالعنا منذ هذا القطاع . تطالعنا فى صورة مواقف يسأل عنها المسلمون عن شئون شتى .

فهم يسألون عن الأهلة . . . ما شأنها؟ ما بال القمر يبدو هلالاً ثم يكبر . . . ثم يختفى؟

ويسألون ماذا ينفقون؟ من أى نوع من مالهم ينفقون؟ وأى قدر؟ ويسألون عن القتال فى الشهر الحرام . . وعند المسجد الحرام . . هل يجوز؟

ويسألونك عن المحيض؟ وما علاقتهم بنسائهم فى فترته؟

وقد وردت أسئلة فى موضوعات متنوعة فى سور أخرى .

وهذه الأسئلة ذات دلالات شتى:

أولاً: دليل على تفتح وحيوية ونمو فى صورة الحياة وعلاقتها وبروز أوضاع جديدة فى المجتمع الذى جعل يأخذ شخصيته الخاصة .

ثانيًا: دليل على يقظة الحس الدينى . وتغلغل العقيدة الجديدة وسيطرتها على النفوس مما يجعل كل واحد يتحرج أن يأتى أمرًا فى حياته اليومية قبل أن يستوثق من رأى العقيدة الجديدة فيه .

ثالثًا: بروز بعض الاستفهامات وضرورة الإجابة عليها لمواجهة حملات التشكيك التى يقوم بها اليهود فى المدينة والمشركون فى مكة .

إن هذا القرآن نزل لينشئ حياة كاملة ، يحركها ويقودها إلى شاطئ الأمان بين الأشواك والعثرات ومشقات الطريق التى تتناثر فيها الشهوات كما تتناثر فيها العقبات .

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٧٤) إلى صـ (٧٧)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١٨٩	١٩٧
	إلى	١٩٦	٢٠٣

الدرس الثانى عشر

(المنهج الربانى فى التربية)

من الآية رقم (٢٠٤) من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾
إلى الآية رقم (٢١٤) إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

فى هذا الدرس نجد الملامح الواضحة لنموذجين من نماذج البشر:

الأول: نموذج المرائى الشرير، الذلق اللسان، الذى يجعل شخصه محور الحياة كلها والذى يعجبك مظهره ويسوؤك مخبره.

والثانى: نموذج المؤمن الذى يبذل نفسه كلها لمرضاة الله لا يستبقى منها بقية ولا يحسب لذاته حسابًا فى سعيه وعمله لأنه يفنى فى الله ويتوجه بكليته لله.

وعقب عرض هذين النموذجين نسمع هتافًا بالذين آمنوا ليستسلموا بكليتهم لله، دونما تردد، ودونما تلفت، ودونما تجربة لله بطلب الخوارق والمعجزات كالذى فعلته بنو إسرائيل حين بدلت نعمة الله عليها وكفرتها ويسمى هذا الاستسلام دخولاً فى السلم ﴿ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ .

وفى مواجهة نعمة الإيمان الكبرى وحقيقة السلام التى تنشر ظلالها على الذين آمنوا . . . يعرض سوء تصور الكفار لحقيقة الأمر وسخريتهم من الذين آمنوا.

ثم بعد ذلك يجىء تلخيص لقصة اختلاف الناس. وبيان للميزان الذى يجب أن يفيئوا إليه ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه.

وتقرير لوظيفة الكتاب الذى أنزله الله بالحق ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ .

ـ ويتطرق من هذا إلى ما ينتظره القائمون على هذا الميزان من مشاق الطريق.

ـ ويخاطب الجماعة المسلمة فيكشف لها عما ينتظرها فى طريقها الشائك من البأساء والضراء والجهد. . وهكذا نرى أطرافًا من المنهج الربانى فى تربية الجماعة المسلمة وإعدادها.

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٧٧) إلى صـ (٧٨)

الدرس الثالث عشر

(أسئلة عن أحكام ويقظة العقيدة)

من الآية رقم (٢١٥) من قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم﴾
إلى الآية رقم (٢٢٠) إلى قوله تعالى: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

وهذه الظاهرة.. ظاهرة الأسئلة عن أحكام توحى بيقظة العقيدة واستيلائها على نفوس الجماعة المسلمة إذ ذاك ورغبة المؤمنين فى معرفة حكم العقيدة فى كل شأن من شئون حياتهم فما أقره الإسلام كان دستورهم وقانونهم وما لم يقره كان ممنوعًا عليهم وحرامًا.... وهذه الحساسية هى آية الإيمان.

كانت تثار بعض الأسئلة بسبب الحملات الكيدية التى يشنها اليهود والمنافقون والمشركون كذلك حول بعض التصرفات مما يدفع المسلم ليسأل عنها، إما ليستيقن من حقيقتها وحكمتها، وإما تأثرًا بتلك الحملات والدعايات المسمومة...، وتبطل الدسائس وتموت الفتن ويرتد كيد الكائدين إلى نحورهم.

وفى هذا الدرس جملة من هذه الأسئلة:

سؤال عن الإنفاق (مواضعه.. مقاديره.. نوع المال الذى يكون فيه النفقة) وسؤال عن القتال فى الشهر الحرام وسؤال عن الخمر والميسر وسؤال عن اليتامى وسنعرضها بالتفصيل عند استعراض النصوص.

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٧٨) إلى صـ (٨٠)

الدرس الرابع عشر

(دستور الأسرة)

من الآية رقم (٢٢١) من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ...﴾
إلى الآية رقم (٢٤٢) إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ...﴾
(مدة حفظ الدرس): (ثلاثة أيام)

نحن فى هذا الدرس مع جانب من دستور الأسرة، جانب من التنظيم للقاعدة الركينة التى تقوم عليها الجماعة المسلمة ويقوم عليها المجتمع الإسلامى. وينبثق نظام الأسرة فى الإسلام من معين الفطرة، وأصل الخلقة. وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعًا وللمخلوقات كافة.

- والأسرة هى المحضن الطبيعى الذى يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها.
- والآيات الواردة فى هذا المقطع تتناول بعض أحكام الزواج، والمعاشرة والإيلاء، والطلاق، والعدة، والنفقة، والمتعة، والرضاعة، والحضانة.

إن هذه الأحكام تذكر بدقة وتفصيل:

الحكم الأول: يتضمن النهى عن زواج المسلم بمشركة وعن تزويج المشرك من مسلمة والتعقيب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ﴾.

والحكم الثانى: يتعلق بالنهى عن مباشرة النساء فى المحيض.

والحكم الثالث: حكم الإيمان بصفة عامة تمهيدًا للحديث عن الإيلاء والطلاق.

والحكم الرابع: حكم الإيلاء.

والحكم الخامس: حكم عدة المطلقة.

والحكم السادس: حكم عدد الطلقات.

والحكم السابع: حكم الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان بعد الطلاق.

والحكم الثامن: حكم الرضاعة والاسترضاع والأجر.

والحكم التاسع: خاص بعدة المتوفى عنها زوجها.

والحكم العاشر: حكم التعريض بخطبة النساء فى أثناء العدة.

والحكم الحادى عشر: حكم المطلقة قبل الدخول فى حالة ما إذا فرض لها مهر وفى حالة ما إذا لم يفرض.

والحكم الثانى عشر: حكم المتعة للمتوفى عنها زوجها وللمطلقة.

ويجىء التعقيب العام على هذه الأحكام ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

إنها عبادة الله فى كل حركة وفى كل خطرة إن الإسلام يشرع لناس من البشر لا لجماعة من الملائكة، والإسلام يلاحظ كل ما فيهم ويتعامل معهم أنهم بشر...

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٨٠) إلى صـ (٨٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٢٢١	٢٣١	٢٣٦
	إلى	٢٣٠	٢٣٥	٢٤٢

الدرس الخامس عشر

(تجارب.... وعبر)

من الآية رقم (٢٤٣) من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾
إلى الآية رقم (٢٥٢) إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

ندرك قيمة هذا الدرس وما يتضمنه من تجارب الجماعات السابقة والأمم الغابرة ونستحضر فى أنفسنا أن القرآن هو كتاب هذه الأمة الحى، ورائدها الفاصح، وأنه هو مدرستها التى تلقت فيها دروس حياتها . .

إن هذا القرآن ليس مجرد كلام يتلى ولكنه دستور شامل . . دستور للتربية، كما أنه دستور للحياة العملية، وقدم تجارب الدعوة الإيمانية فى الأرض من لدن آدم - عليه السلام - قدمها زادًا للأمة المسلمة فى جميع أحوالها، تجاربها فى الأنفس، وتجاربها فى واقع الحياة كى تكون الأمة المسلمة على بينة من طريقها، وهى تتزود لها بذلك الزاد الضخم ذلك الرصيد المنوع.

هذا الدرس يعرض تجربتين من تجارب الأمم السابقة يضمها إلى ذخيرة هذه الأمة من التجارب ويعد بها الجماعة المسلمة لما هى معرضة له فى حياتها من المواقف بسبب قيامها بدورها الكبير بوصفها وارثة العقيدة الإيمانية، ووارثة التجارب فى هذا الحقل الخصيب.

التجربة الأولى:

لا يذكر القرآن أصحابها، ويعرضها فى اختصار كامل ولكنه واف، فهى تجربة جماعة ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ فلم ينفعهم الخروج والفرار والحذر وأدركهم قدر الله، الذين خرجوا حذرًا منه، فقال الله: ﴿مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ لم ينفعهم الجهد فى اتقاء الموت ولم يبذلوا جهدًا فى استرجاع الحياة . . . وإنما هو قدر الله فى الحالين.

التجربة الثانية:

تجربة فى حياة بنى إسرائيل من بعد موسى بعدما ضاع ملكهم، ونهبت مقدساتهم وذلوا لأعدائهم وذاقوا الويل بسبب انحرافهم عن هدى ربهم وتعاليم نبيهم، وعندما انتفضت فى

قلوبهم العقيدة واستيقظت واشتاقوا للقتال فى سبيل الله ﴿قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

ومن خلال هذه التجربة - كما يعرضها السياق القرآنى - تبرز جملة حقائق، تحمل إيحاءات قوية للجماعة المسلمة فى كل جيل، فضلاً على ما كانت تحمله للجماعة المسلمة فى ذلك الحين.



تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٨٤) إلى صـ (٨٦)

الدرس السادس عشر

(رسل الله)
(تفضيل بعضهم على بعض واختلاف من جاء بعدهم)

من الآية رقم (٢٥٣) من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾
إلى الآية رقم (٢٥٧) إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

هذه البقية الباقية من سورة البقرة وهى بداية الجزء الثالث هى استطراد فى موضوعها الرئيسى الذى شرحناه فى مطلع الجزء الأول.

هذه البقية تأتى بعد قول الله لنبيه ﷺ فى نهاية الجزء الثانى من السورة ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وذلك تعقيبًا على قصة الملأ ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

ومن ثم يبدأ الجزء الثالث بعد هذا حديثًا ملتحمًا بما قبله من الرسل وتفضيل الله بعضهم على بعض وخصائص بعضهم ورفع بعضهم درجات... وحديثًا عن اختلاف بعدهم من اتباعهم وقتال بعضهم لبعض: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

تلك الرسل: إنهم جماعة خاصة، ذات طبيعة خاصة وإن كانوا بشرًا من البشر فمن هم؟ ما الرسالة؟ ما طبيعتها؟ كيف تتم؟ لماذا كان هؤلاء وحدهم رسلاً؟ وبماذا؟.

إن هؤلاء الرسل لم يجمعوا الشواهد والظواهر على قانون الوحدة فى هذا الوجود عن طريق التجارب العلمية. ولكن لأنهم وُهبوا جهاز استقبال كاملاً مباشرًا.. وكان هذا الجهاز اللدنى فى تلك الطبائع الخاصة الموهوبة أدق، وأشمل، وأكمل. ولقد شاءت إرادة الله أن تبعث بالرسل بين الحين والحين لتصل البشرية بالحقيقة المطلقة التى ما كانت ملاحظتهم

وتجربتهم لتبلغ إلى طرف منها إلا بعد مئات القرون. وقيمة هذا الاتصال هي استقامة خطاهم مع خطا الكون واستقامة حركاتهم مع حركة الكون واستقامة فطرتهم مع فطرة الكون.

مصدر واحد هو مصدر الرسالات، وما عداه ضلال وباطل، لأنه يتلقى عن ذلك المصدر الوحيد الواصل الموصول.

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٨٧) إلى صـ (٨٨)

الدرس السابع عشر

(سر الحياة والموت)

من الآية رقم (٢٥٨) من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾
إلى الآية رقم (٢٦٠) إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

هذه الآيات الثلاث تتناول موضوعًا واحدًا في جملة: (سر الحياة والموت) وحقيقة الحياة والموت، وهي بهذا تؤلف جانبًا من جوانب التصور الإيماني.

إننا لا نعرف شيئًا عن حقيقة الحياة وحقيقة الموت حتى اللحظة الحاضرة ولكننا ندرك مظهرهما في الأحياء والأموات.

ونحن ملزمون أن نكل مصدر الحياة والموت إلى قوة ليست من جنس القوى التي نعرفها على الإطلاق. قوة الله.

والآية الأولى: تحكي حوارًا بين إبراهيم - عليه السلام - وملك في أيامه يجادله في الله.
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ...﴾.

والآية الثانية: ترسم مشهدًا قويًا واضحًا موحيًا مشهد الموت والبلى والخواء يرتسم بالوصف ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾.
﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

والتجربة الثالثة: تجربة إبراهيم أقرب الأنبياء إلى أصحاب هذا القرآن.
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

❖ ❖ ❖

الدرس الثامن عشر

(النظام الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع المسلم)

من الآية رقم (٢٦١) من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾
إلى الآية رقم (٢٧٤) إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

منذ الآن إلى قرب نهاية السورة يتعرض السياق لإقامة قواعد النظام الاقتصادى والاجتماعى الذى يريد الإسلام أن يقوم عليها المجتمع المسلم، وأن تنظم بها حياة الجماعة المسلمة. إنه نظام التكافل والتعاون الممثل فى الزكاة المفروضة والصدقات المتروكة للتطوع وليس النظام الربوى الذى كان سائدًا فى الجاهلية. ومن ثم يتحدث عن: آداب الصدقة ويلعن الربا ويقرر أحكام الدّين والتجارة فى الدروس الآتية فى السورة وهى تكوّن فى مجموعها جانبًا أساسيًا من نظام الاقتصاد الإسلامى والحياة الاجتماعية التى تقوم عليها.

وفى هذا الدرس نجد الحديث عن تكليف البذل والإنفاق، ودستور الصدقة، والتكافل، والإنفاق فى سبيل الله هو صنو الجهاد الذى فرضه الله على الأمة المسلمة. ولقد تكررت الدعوة إلى الإنفاق فى السورة فالآن يرسم السياق دستور الصدقة فى تفصيل وإسهاب، إلا أنه لا يفوتنا أن نلمح من ورائه أنه جاء تلبية لحالات واقعة كانت النصوص تواجهها فى الجماعة المسلمة.

كان هناك من يضن بالمال فلا يعطيه إلا بالربا وكان هناك من ينفقه كارهًا أو مرائيًا. وكان هناك من يتبع النفقة بالمن والأذى، وكان هناك من يقدم الردىء من ماله ويحتجز الجيد. وكل هؤلاء إلى جانب المنفقين فى سبيل الله مخلصين له، الذين يجودون بخير أموالهم وينفقون سرًا فى موضع السر وعلانية فى موضع العلانية فى تجرد وإخلاص ونقاء.

كان هؤلاء وكان أولئك فى الجماعة المسلمة حينذاك. وإدراك هذه الحقيقة يفيدنا فوائد كثيرة.

يفيدنا أولاً: فى إدراك طبيعة هذا القرآن ووظيفته فهو كائن حى متحرك، ويواجه حالات

واقعة فيدفع هذه ويقر هذه ويدفع الجماعة المسلمة ويوجهها، فهو في عمل دائب، وفي حركة دائبة.

ويفيدنا ثانيًا: في رؤية حقيقة الطبيعة البشرية الثابتة المطردة تجاه دعوة الإيمان وتكاليفها، وينفعنا لأنه يدفع اليأس من أنفسنا.

ويفيدنا ثالثًا: في الاستقرار إلى هذه الحقيقة البسيطة التي كثيرًا ما نغفل عنها وننساها: وهي أن الناس هم الناس، والدعوة هي الدعوة، والمعركة هي المعركة.

وعليه فلا بد أن نرجع إلى استشارة القرآن في حركات حياتنا وملابساتها، وإلى رؤيته يعمل ويتحرك في مشاعرنا وفي حياتنا، كما كان يعمل ويتحرك في حياة الجماعة الأولى.

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٨٩) إلى صـ (٩١)

الدرس التاسع عشر

(الربا: الوجه الكالح المقابل للصدقة)

من الآية رقم (٢٧٥) من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾
إلى الآية رقم (٢٨١) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

الصدقة: عطاء وسماحة، وطهارة، وزكاة، وتعاون وتكافل.

والربا: شح، وقذارة، ودنس، وأثرة، وفردية.

والصدقة: نزول عن المال بلا عوض ولا رد.

والربا: استرداد للدَّين ومعه زيادة حرام مقتطفة من جهد المدين أو من لحمه.

- والبشرية الضالة التى تأكل الربا تنصب عليها البلايا الماحقة الساحقة.

- والربا ينشئ فى النهاية نظامًا يسحق البشرية سحقًا ويشقيها فى حياتها أفرادًا وجماعات ودولاً وشعوبًا لمصلحة حفنة من المرابين.

إن النظام الربوى نظام معيب من الوجهة الاقتصادية البحتة - وقد بلغ من سوئه أن تنبه لعيوبه بعض أساتذة الاقتصاد الغربيين أنفسهم.

ونستعرض بعض الحقائق الأساسية عن الربا:

الحقيقة الأولى: أنه لا إسلام مع قيام نظام ربوى فى مكان.

الحقيقة الثانية: أن النظام الربوى بلاء على الإنسانية ويمحق سعادة البشرية محقا.

الحقيقة الثالثة: أن النظام الأخلاقى والنظام العملى فى الإسلام مترابطان تمامًا.

الحقيقة الرابعة: أن التعامل الربوى لا يمكن إلا أن يُفسد ضمير الفرد وخلقه.

الحقيقة الخامسة: أن الإسلام نظام متكامل فهو حين يحرم التعامل الربوى يقيم نظمه كلها على أساس الاستغناء عن الحاجة إليه.

الحقيقة السادسة: أن الإسلام حين يتاح له أن ينظم الحياة وفق تصوره ومنهجه الخاص لن يحتاج عند إلغاء التعامل الربوى إلى إلغاء المؤسسات والأجهزة اللازمة لنمو الحياة

الاقتصادية العصرية نموها الطبيعى السليم ولكن فقط سيطهرها من لوثة الربا ودنسه . ثم يتركها تعمل وفق قواعد أخرى سليمة .

الحقيقة السابعة: ضرورة اعتقاد من يريد أن يكون مسلمًا بأن هناك استحالة اعتقادية فى أن يحرم الله أمرًا لا تقوم الحياة البشرية ولا تقدم بدونه .

الحقيقة الثامنة: أن استحالة قيام الاقتصاد العالمى اليوم وغدًا على أساس غير الأساس الربوى ليست سوى خرافة . أو هى أكذوبة .

فلننظر كيف كانت ثورة الإسلام على تلك الشناعة التى ذاقت منها البشرية ما لم تذق قط من بلاء .

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٩١) إلى صـ (٩٢)

الدرس العشرون

(القرض الحسن بلا فائدة ولا ربا)

من الآية رقم (٢٨٢) من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾
إلى الآية رقم (٢٨٤) إلى قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

الحديث هنا عن القرض الحسن بلا ربا ولا فائدة وعن المعاملات التجارية الحاضرة المبرأة من الربا.

وإن الإنسان ليقف فى عجب وفى إعجاب أمام التعبير التشريعى فى القرآن - حيث تتجلى الدقة العجيبة فى الصياغة القانونية حتى ما يبدل لفظ بلفظ ولا تقدم فقرة عن موضعها أو تؤخر وحيث يربط التشريع بالوجدان الدينى.

ولولا الإعجاز ما حقق الدقة التشريعية المطلقة والجمال الفنى المطلق على هذا النحو الفريد.

ذلك كله فقد سبق التشريع الإسلامى بهذه المبادئ التشريع المدنى والتجارى بحوالى عشرة قرون. كما يعترف الفقهاء المحدثون!

وبعد ذلك يعقب على التشريع المدنى البحت بتوجيه وجدانى بحت ويربط بين التشريعات للحياة وخالق الحياة. بذلك الرباط الوثيق، المؤلف ثم الخوف والرجاء فى مالك الأرض والسماء. فالإسلام يصنع القلوب التى يشرع لها، ويصنع المجتمع الذى يقنن له صنعة إلهية متكاملة متناسقة. تربية وتشريعًا وتقوى وسلطانًا، ومنهجًا للإنسان من صنع خالق الإنسان.

ألا إنها الشقوة للبشرية فى هذا الشرود عن منهج الله وشرعه، الشقوة التى بدأت فى الغرب هربًا من الكنيسة الطاغية الباغية هناك. ومن إلهها الذى كانت تزعم أنها تنطق باسمه. وتحرم على الناس أن يتفكروا وأن يتدبروا.

فأما نحن - نحن الذين نزعم الإسلام - فما بالنا؟ ما بالنا نشرد عن الله ومنهجه وشريعته وقانونه؟ ما بالنا وديننا السمح القويم لم يفرض علينا إلا كل ما يرفع عنا الأغلال، ويحط عنا الأثقال، ويفيض علينا الرحمة والهدى واليسر والاستقامة على الطريق المؤدى إليه، وإلى الرقى والفلاح.

الدرس الحادى والعشرون

(آيتان)
(ومسك الختام)

من الآية رقم (٢٨٥) من قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾
إلى الآية رقم (٢٨٦) إلى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

هذا ختام السورة الكبيرة.. فى آيتين اثنتين ولكنهما تمثلان بذاتهما تلخيصًا وافيًا لمعظم قطاعات السورة يصلح ختامًا لها.

ختامًا متناسقًا مع موضوعاتها وَجَوّها وأهدافها، إنه الختام الذى يلخص ويشير ويتناسق مع خط السورة الأصيل.

وفى هاتين الآيتين كل كلمة لها موضعها، ولها دورها، ولها دلالتها الضخمة وهى قائمة فى العبارة لتمثيل ما وراءها وهو كبير.

نعم كل كلمة لها دورها الضخم بصورة عجيبة.

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (٩٤) إلى صـ (٩٤)

سورة الفاتحة

الفاتحة أول كل شيء باسم الله خير الأسماء.

سورة الحمد من قصار السور ولكنها أم الكتاب. وأعظم سوره. تضمنت خلاصة وجيزة لعقائد الإسلام، وعهدًا وثيقًا بين الناس وربهم يحقق رسالتهم فى الوجود، ورجاء فى الله أن يهدى الطريق، ويمنح التوفيق، وينعم بالرضا...

عن أبى ميسرة، أن رسول الله ﷺ كان إذا برز سمع مناديًا يناديه: (يا محمد) فإذا سمع الصوت انطلق هاربًا، فقال له ورقة بن نوفل: إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك، قال: فلما برز النداء: (يا محمد)، فقال: لبيك، قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ثم قال: قل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ...﴾ حتى فرغ من فاتحة الكتاب، وهذا قول على بن أبى طالب.

❖ ❖ ❖



١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ اختلف أهل العلم فى البسملة فقيل: هى آية مستقلة، وقيل هى بعض آية، وقيل إنها ليست آية فى الجميع، واتفقوا على أنها بعض آية كما فى سورة النمل ﴿الرحمن الرحيم﴾ نحن فى رحمته نعيش، والرحمة والعلم يسعان كل شىء، والرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم.

٢ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ الحمد: هو الثناء الذى يكشف عن أمجاد الذات العليا، وهو مديح على ما ننال من عطاء ونعماء، وهو شكر يقابل الخير النازل والفضل المسدى. ﴿رب العالمين﴾ سيد العوالم كلها من العرش إلي الفرش، من السماء إلى الأرض مَن الحيوان إلى النبات، من الملائكة إلى البشر.

٣ ﴿الرحمن الرحيم﴾ قد تقدم تفسيرها.

٤ ﴿مالك يوم الدين﴾ المقصود بالدين الجزاء، وهو بداية العالم الآخر وهو يوم يدين الله العباد بأعمالهم.

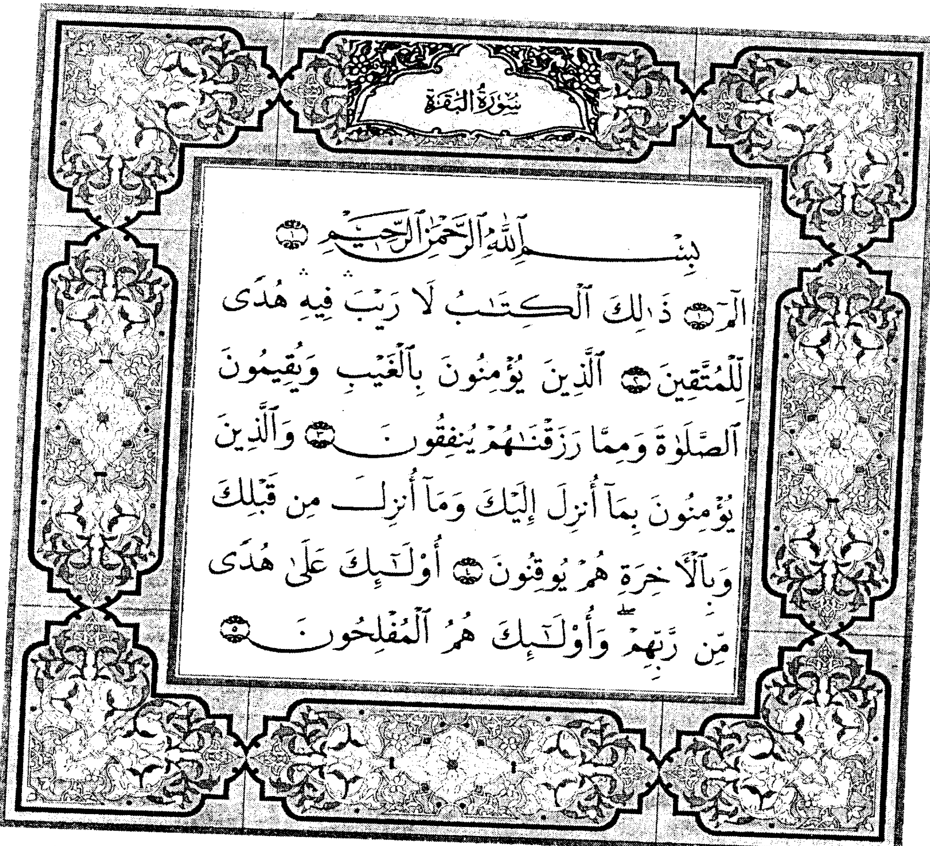
٥ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ نعبدك وحدك يا الله ونستعين بك لا بغيرك.

٦ ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ الهداية هى الإرشاد أو التوفيق أو الدلالة والخط المستقيم أقصر الطرق ومن استقام إلى الله اهتدى.

٧ ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ هم المذكورون فى سورة النساء حيث قال: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾

المغضوب عليهم : هم اليهود.

الضالين : هم النصارى.



الدرس الاول
الطوائف التى واجهتها الدعوة في المدينة المنورة
من الآية ١ / ٢٩
(مدة الحفظ ثلاثة أيام)

﴿الم﴾ قال القرطبى فى تفسيره: الحروف التى فى أوائل السور هى سر الله فى القرآن، وقيل هى اسم من أسماء الله تعالى، وذكر ابن كثير قول الزمخشرى: «كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته».

٢ ﴿ذلك الكتاب﴾ قال ابن عباس: «ذلك الكتاب: أى هذا الكتاب». وذهب بعض المفسرين أن ذلك إشارة إلى القرآن. ومعنى الكلام أنه هذا الكتاب هو القرآن لا شك فيه أنه نزل من عند الله. ﴿هدى للمتقين﴾ يعنى نورًا للمتقين.

٣ ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ أى التصديق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ ويؤدون الصلاة بأركانها وسننها فى أوقاتها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾.

٤ ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك ..﴾ أى بما جئت به وما جاء به من قبلك من المرسلين ويوقنون بالبعث والنشور وسائر أمور الآخرة دون شك.

٥ ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ على نور وبرهان واستقامة ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أى المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ
أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا
الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

ثم ينتقل السياق إلى الصورة الثانية أو النموذج الثانى: إنها صورة الكافرين:

٦ إنَّ الَّذين كَفَروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهم لا يُؤمنون أى الذين أصروا على جحد رسالتك يا محمد وإنكار ما جئت به من الآيات البينات وذلك لأنهم يتبعون أهواءهم ولأنهم غطوا الحق وستروه فكيف يسمعون منك إنذارًا وتحذيرًا.

سبب نزول قوله تعالى: إنَّ الَّذين كفروا.. قال الضحاك: نزلت فى أبى جهل وخمسة من أهل بيته، وقال الكلبى: يعني اليهود.

٧ ختم اللَّه علىٰ قلوبهم .. فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون قال ابن جرير: إن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها.

وينتقل السياق إلى الصورة الثالثة: إنها صورة المنافقين:

٨ ومِن النَّاسِ من يقُولُ آمنَّا .. هؤلاء هم الفرقة الثالثة لأنهم وافقوا فى الظاهر المؤمنين الخلص ووافقوا فى الباطن الكفرة الخلص ومع ذلك فهم أهل الدرك الأسفل من النار.

٩ يخادعُون اللَّه والَّذين آمنُوا .. ظانين فى أنفسهم الذكاء والدهاء لأن الله بخداعهم عليم، والمؤمنون فى كنف الله فهو حافظهم من هذا الخداع اللئيم.

١٠ في قُلوبهم مَّرضٌ أى فساد فى عقائدهم إما شكًا أو نفاقًا أو جحدًا أو تكذيبًا فزادهُم اللَّهُ مرضًا أى بزيادة الشك ولهُم عذابٌ أليمٌ أى نكال موجع.

١١ وإذا قيل لهُم لا تُفْسدُوا في الأرض.. بالنفاق وموالاة الكفرة وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، والقرآن، فإنكم إذا فعلتم ذلك فسد ما فى الأرض بهلاك الأبدان وخراب الديار.

ومن ثم يجيء التقرير الصادق:

١٢ ألا إنَّهم هُم المُفْسدُون.. فردهم الله إلى صفة الفساد التى هم متصفون بها فى الحقيقة.

١٣ وإذا قِيل لهُم آمنوا .. فيقولون أنؤمن كما آمن السفهاء فهم يأنفون من الإسلام ويرونه خاصًا بفقراء الناس غير لائق بالعلية ذوى المقام.

١٤ وإذا لقُوا الَّذين آمنُوا قالُوا آمنَّا.. نفاقًا ومصانعة وتقية وإذا انصرفوا ذهبوا إلى شياطينهم وهم سادتهم وكبراؤهم قالوا إنما نحن ساخرون بأصحاب محمد ﷺ.

أسباب نزول: وإذا لقُوا الَّذين آمنُوا.. عن ابن عباس: نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبىّ وأصحابه.

١٥ اللَّهُ يستهزئُ بهم.. يسخر منهم وينزل بهم الهوان والحقارة وينتقم منهم ويملى لهم فى كفرهم يتمادون.

١٦ أُولَئك الَّذين اشتَروا الضَّلالة بالهُدى.. أى استبدلوا الضلالة بالهدى - وأصل الضلالة الحيرة والجور عن القصد وفقد الاهتداء - فما ربحوا فى تجارتهم وما كانوا راشدين.

معانى الكلمات: ختم: طبع. غشاوةٌ: غطاء. يُخادعُون اللَّه: بإظهارهم الإيمان وإخفائهم الكفر. في قُلوبهم مَّرضٌ: شك ونفاق. السُّفهاءُ: جمع سفيه: خفيف العقل. خلَوْا: انفردوا.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

١٧ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا.. وهنا يشبههم الله بمن استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها وإذا طفئت صار فى ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدى، فكذلك المنافق كان فى ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال من الحرام والخير من الشر فبينما هو كذلك إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر.

١٨ صُمٌّ لا يسمعون بُكْمٌ لا ينطقون عُمْيٌ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

١٩ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ.. هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين، ضربه الله مثلاً للقرآن إذ ينزل بما فيه مما يخيف المنافقين، فيه زواجر القرآن فيجعلون أصابعهم فى آذانهم يتقون الخطر، فكذلك المنافقون لم يجدوا إلا أن يصموا آذانهم عن سماع آيات القرآن، والله آخذهم من جميع الجهات مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ.

٢٠ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ.. أى لشدة ضوء الحق أى كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه، وتارة يعرض لهم الشكوك فوقفوا حائرين وارتدوا كافرين، ولو شاء الله لأخذ أسماعهم وأبصارهم إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

٢١ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ نداء إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذى خلقهم وخلق الذين من قبلهم لعلهم يصيرون إلى الصورة المختارة من صور البشرية المتقين لله.

سبب نزول قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ عن علقمة، قال: كل شيء نزل فيه: يَا أَيُّهَا النَّاسُ فهو مكى و يا أيها الذين آمنوا فهو مدنى، وهذه الآية نزلت فى المؤمنين.

٢٢ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا.. جعلها لكم وطاء تستقرون عليها والسماء كالسقف للبيت الذى يسكنون وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فلا تتخذوا لله شركاء تعبدونهم مثلما تعبدونه.

٢٣ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا وإن كنتم فى شك فى القرآن تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله أى سورة مهما كانت صغيرة وادعوا أى ناس يشهدون لكم أن ما أتيتم به هو مثل القرآن، والتحدى يظل قائمًا وما يزال إلى يومنا هذا.

٢٤ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا والتحدى هنا عجيب والجزم بعدم إمكانه أعجب فَاتَّقُوا النَّارَ فهو التهديد المخيف لمن يعجزون عن هذا التحدى ثم لا يؤمنون بالحق الواضح.

معاني الكلمات:

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ: لا يسمعون ولا ينطقون ولا يبصرون

كَصَيِّبٍ: المطر.

الصَّوَاعِقِ: نار هائلة أثناء قصف الرعد.

حَذَرَ الْمَوْتِ: توقيًا للموت.

فِرَاشًا: وطاء للجلوس.

أَندَادًا: جمع ند: النظير والمثيل.

شُهَدَاءَكُم: أنصاركم.

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

٢٥ ﴿وبشر الّذين آمنوا ..﴾ وهنا يبشر الذين آمنوا بألوان من النعيم إلى جانب الأزواج المطهرة، وهكذا يبدو التنوع فى صنعة البارى هائلاً يدير الرؤوس، وقولهم هذا الذى رزقنا من قبل أى أنه شبيهه ونظيره ومن جنسه فإذا أكلوا وجدوا له طعمًا غير طعم الأول.

٢٦ ﴿إنّ اللّه لا يستحيي أن يضرب مثلا﴾ أى لا يستنكف، وقيل: لا يخشى أن يضرب.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿إنّ اللّه لا يستحيي أن يضرب مثلا﴾ قال ابن عباس: لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين، يعنى: قوله: ﴿مثلهم كمثل الّذي استوقد نارًا﴾ وقوله: ﴿أو كصيّب من السّماء﴾، قالوا: الله أجلّ وأعلى من أن يضرب الأمثال. فأنزل الله هذه الآية.

٢٧ ﴿الّذين ينقضون عهد اللّه﴾ أى إفساد ما عهد إليهم فى القرآن ثم كفروا فنقضوه، ويقطعون الرحم والقرابة، ويعملون بالمعصية فى الأرض أولئك هم أهل النار.

٢٨ ﴿كيف تكفرون باللّه﴾ وذلك للإنكار عليهم والتعجب من حالهم ﴿وكنتم أمواتًا﴾ قبل أن تخلقوا أى معدومين فخلقكم ونفخ فيكم أرواحكم ويميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم يوم القيامة ثم إليه تحشرون إلى الموقف عند الله سبحانه فيجازيكم بأعمالكم.

٢٩ ﴿هو الّذي خلق لكم مّا في الأرض جميعًا﴾ كرامة من الله ونعمة لابن آدم ﴿ثمّ استوى إلى السّماء فسوّاهنّ سبع سموات﴾ أى عدل خلقهن فلا اعوجاج فيه. وهو الخالق والمدبر لكل شىء.

معانى الكلمات:

أُتوا: اعطوا.

مُطهَّرةٌ: من دم الحيض.

لا يستحيي: لا يمنعه الحياء.

الفاسقين: التاركين لأمر الله.

كيف تكفرون: استفهام للتعجب.

الدرس الثانى
قصة خلق آدم
من الآية ٣٠ / ٣٩
(مدة الحفظ يوم واحد)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
(٣٠) وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُواْ
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
(٣٢) قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ
لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
(٣٤) وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٥)
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (٣٧)

٣٠ ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ أى قومًا يخلف بعضهم بعضًا ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ بالشرك وفعل المعاصى ﴿ويسفك الدماء﴾ بالقتل والإيذاء لقد خفيت عليهم حكمة المشيئة الإلهية العليا فى بناء الأرض وعمارتها ﴿قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾.

٣١ ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ علمه سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات وسألهم عن أسمائها التى قد تعلمها آدم وقال لهم أخبرونى بهذه الأسماء.

٣٢ ﴿قالوا سبحانك﴾ فعجزوا واعترفوا بالقصور وقالوا ﴿لا علم لنا﴾ إنك ﴿أنت العليم﴾ بكل شىء ﴿الحكيم﴾ فى خلقك وأمرك وتعليمك من تشاء ومنعك من تشاء لك الحكمة فى ذلك والعدل التام.

٣٣ ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة عليهم السلام فى سرده ما علمه الله قال الله عز وجل: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم الغيب الظاهر والخفى.

٣٤ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته فسجد جميع الملائكة إلا إبليس وكان فى علم الله من الكافرين.

٣٥ ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ يسكن فيها حيث يشاء ويأكل منها ما يشاء ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ (ربما كانت ترمز للمحظور الذى لابد منه فى حياة الأرض).

٣٦ ﴿فأزلهما الشيطان﴾ وهنا تمت التجربة: نسى آدم العهد وضعف أمام الغواية وعندئذ حقت كلمة الله تعالى بالهبوط إلى الأرض. (قيل إلى الموت، وقيل إلى قيام الساعة).

٣٧ ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ فتاب الله عليه إنه يتوب على من تاب إليه وأناب.

٣٨ ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا﴾ وسينزل الله الكتب ويبعث الأنبياء والرسل فمن قبل الكتاب وعمل به فلا خوف عليهم ولا حزن على ما فاتهم من أمور الدنيا.

٣٩ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ فهم أهل النار فلا يموتون فيها ولا يحيون ﴿هم فيها خالدون﴾.

معانى الكلمات:

خليفة : من يخلف غيره.
يسفك : يسيل.
نقدس : ننزه.
الأسماء : أسماء الأجناس كالماء والنبات.
أنبئوني : أخبرونى.
أبى : امتنع.
رغدا : العيش الهنىء.
فأزلهما : أوقعهما فى الزلل.
هبطوا : انزلوا.

الدرس الثالث
مواجهة بنى إسرائيل
من الآية ٤٠/٧٤
(مدة الحفظ ثلاثة أيام)

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

٤٠ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ونعم الله عليهم كثيرة بإرسال الرسل وإنزال الكتاب والنجاة من فرعون. وأوفوا بالعهد الذى فى أعناقكم وإياي فارهبون فاخشون.

٤١ وآمنوا بما أنزلت لأنه كان ينبغى عليهم أن يكونوا أول المؤمنين ولا يكونوا أول من كفر ولا تشتروا بأوامرى ونواهىّ عيشًا نزرًا ورئاسة تافهة لا قيمة لها وإياي فاتقون .

٤٢ ولا تلبسوا الحقّ بالباطل وهنا يحذرهم من تلبيس الحق بالباطل وكتمان الحق وهم يعلمون فنهاهم عن الشيئين معا وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به.

ثم يدعوهم إلى الاندماج فى موكب الإيمان:

٤٣ وأقيموا الصّلاة .. أمرهم أن يصلوا مع النبى ﷺ ويؤتوا الزكاة وأن يركعوا مع الراكعين من الأمة المسلمة. لأن اليهود لا ركوع فى صلاتهم.

٤٤ أتأمرون النّاس بالبرّ .. ثم ينكر عليهم الدعوة إلى الإيمان وهم فى الوقت نفسه يصدون قومهم عن الإيمان بدين الله. فكيف أهملتم ما يقتضيه العقل.

سبب نزول قوله تعالى: أتأمرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴿٤٤﴾ قال ابن عباس نزلت فى يهود المدينة كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوى قرابته ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين: اثبت على الدين الذى أنت عليه وما يأمرك هذا الرجل يعنون محمدا ﷺ فإن أمره حق فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه.

٤٥ واستعينوا بالصّبر والصّلاة بحبس أنفسكم عن الشهوات والصلاة تقربًا إلى الله فى أن يعينكم على الإيمان وإنّها لكبيرةٌ إلاّ على الخاشعين أى إنها عسرة إلا على الذين ذلت نفوسهم لعظمة الله وسكنت إلى ذلك.

٤٦ الّذين يظنّون أنّهم مُلاقُوا ربّهم وأنّهم إليه راجعون فيجزيهم ويزيدهم من فضله وأنهم إليه راجعون يوم القيامة.

٤٧ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي الّتي أنعمتُ عليكُم فى هذه الآية يذكرهم بسالف نعمه على آبائهم وأسلافهم وفى أزمنة صلاحهم واستقامتهم.

٤٨ واتّقوا يومًا لا تجزي نفسٌ عن نّفس شيْئًا وهذا اليوم هو يوم القيامة واتقاؤه لما يقع فيه من أهوال.

معانى الكلمات:

أوفوا: أتموا. لا تلبسوا: لا تخلطوا.

بالبرّ: لفظ جامع لكل خير.

مُلاقُوا ربّهم: بالموت.

واتّقوا يومًا: هو يوم القيامة.

لا تجزي: لا تغنى.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

٤٩ وإذ نجّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب أى اذكر وقت أن أنجيناكم من آل فرعون يذيقونكم ويلزمونكم أشد العذاب.
يُذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم يتركونهن على قيد الحياة ليستخدموهن ويمتهنوهن ويذبحون الأبناء لأن الكهنة أخبروا فرعون بأنه يولد من بنى إسرائيل مولود يكون هلاكه على يده. وكل هذا ابتلاء وامتحان شديد لا يطاق.

٥٠ وإذ فرقنا بكم البحر .. وهنا يذكرهم بالقصة التى يعرفونها. إنها كانت لنجاة بنى إسرائيل بقيادة - سيدنا موسى - عليه السلام وأنتم تنظرون نظروا إلى أنفسهم ينجون وإلى آل فرعون يغرقون ليكون ذلك أشفى لصدورهم وأبلغ فى إهانة عدوهم.

٥١ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة .. وعد الله موسى - عليه السلام - أن يأتى إلى الطور ليكلمه ثم جعلتم العجل إلها من بعدما مضى موسى إلى الطور.

٥٢ ثمّ عفونا عنكم من بعد ذلك .. أى عفونا عنكم من بعد عبادتكم العجل وتفضلنا بالعفو عن ذنبكم العظيم الذى وقعتم فيه.

٥٣ وإذ آتينا موسى الكتاب .. وهو التوراة والفرقان أى المعجزات من العصا واليد وغيرهما لعلكم تهتدون.

٥٤ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنّكم ظلمتم أنفسكم .. فيخاطبهم موسى أن يتوبوا إلى الذى خلقهم وقد عبدوا معه غيره فأمرهم بقتل أنفسهم. قالوا يا موسى: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضا فأخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه لا يبالى من قتل حتى قتل منهم سبعون ألفا حتى أوحى الله إلى موسى: مرهم فليرفعوا أيديهم وقد غفر الله لمن قتل وتاب على من بقى.

٥٥ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة أى عيانا فأخذتكم الصّاعقة وهى نار من السماء أصابتهم فماتوا وهم يرون ذلك عيانا.

٥٦ ثمّ بعثناكم من بعد موتكم أحياهم بعد إماتتهم لعلّكم تشكرون .

٥٧ وظلّلنا عليكم الغمام .. وهو السحاب الأبيض وقيل ظلل عليهم الغمام من الشمس وأنزلنا عليكم المنّ .. الطل ينزل من السماء على شجر ويحلو وينعقد عسلا ويجف جفاف الصمغ. والسلوى: قيل هى السمانى طائر يذبحونه فيأكلونه وقيل السلوى: العسل.

معانى الكلمات:
(النجاة): الخلاص.
يسومونكم: يبغونكم ويذيقونكم.
يستحيون: يتركون ذبح البنات.
فرقنا: صيرناه فرقتين.
الكتاب: التوراة.
الفرقان: المعجزات.
بارئكم: خالقكم.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

٥٨ ﴿وإذ قُلنا ادخلوا هذه القرية . ﴾ **هى بيت المقدس، وكلوا حيث شئتم** ﴿رغدا﴾ **كثيرًا واسعًا** ﴿وادخلوا الباب سجدا﴾ **والسجود هو الانحناء** ﴿وقولوا حطة﴾ **بمعنى احطط عنا الخطايا أى التوبة. وسنزيدهم إحسانا على إحسانهم المتقدم.**

وتذكر بعض الروايات أن القرية هى القدس. فماذا بعد ذلك:

٥٩ ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ **فدخلوا يزحفون على أستاهم وقالوا: حبة فى شعرة فكان الجزاء أن أنزل الله العذاب وذلك بسبب المخالفة والخروج وكانت هذه واحدة من أفاعيل بنى إسرائيل.**

٦٠ ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كُلُّ أُناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله﴾ **لقد أمر الله سيدنا موسى أن يضرب حجرا معينا بعصاه عندما طلبوا منه السقيا وهم فى التيه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد أسباط بنى إسرائيل وقيل لهم كلوا واشربوا من رزق الله على سبيل الإباحة والإنعام** ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ **فحذرهم من الاعتداء والإفساد.**

٦١ ﴿وإذ قُلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد . .﴾ **وهنا تذكير بسوء أخلاق كانت فى سلفهم منها: عدم الصبر، والتعنت، وسوء التدبير، والجهالة بالخير، والرعونة وغيرها. كما ذكرهم بالعاقبة المرة التى كانت لهم نتيجة كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء واعتدائهم وعصيانهم وهى أن ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم.**

معانى الكلمات:

القرية : **مدينة القدس.**
رغدا : **هنيئا.**
حطة : **احطط.**
فبدّل : **غير.**
استسقى : **طلب من الله السقيا.**
فانفجرت : **انشقت.**
بقلها : **جمعه البقول.**

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩)

٦٢ ﴿إنَّ الَّذين آمَنُوا﴾ هم الذين صدقوا رسول الله ﷺ ﴿والَّذين هادُوا﴾ أى صاروا يهودا وقيل هادوا: أى تابوا ﴿والنَّصارىٰ﴾ نسبة إلى الناصرة قرية بفلسطين ﴿والصَّابِئِين﴾ وهم قوم عبدوا الملائكة. فكل من آمن من هؤلاء فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذين آمنُوا والَّذين هادُوا ..﴾ قال مجاهد: لما قص سلمان على النبى ﷺ قصة أصحاب الدير قال: (هم فى النار) قال سلمان: فأظلمت على الأرض فنزلت: ﴿إنَّ الَّذينَ آمَنُوا والَّذينَ هادُوا﴾ إلى قوله ﴿يحزنون﴾ قال: فكأنما كشف عنى جبل.

٦٣ ﴿وإذْ أخذْنا ميثاقكُم ورفعْنا فوقكُمُ الطُّور﴾ ويستمر السياق يستعرض مواقف بنى إسرائيل فى مواجهة يهود المدينة بمسمع من المسلمين فلابد من أخذ العهد بقوة وجد واستجماع نفس وتصميم... ولكن هيهات!!

٦٤ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْد ذلك..﴾ ثم أدركتكم رحمة الله مرة أخرى فلولا توبة الله عليكم وإرساله النبيين والمرسلين إليكم ﴿لَكُنتُم مِّن الْخَاسِرِين﴾ بنقضكم ذلك الميثاق.

٦٥ ﴿ولَقَدْ علِمْتُمُ الَّذين اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ كان اليهود مأمورين بالراحة والدعة يوم السبت وألا يعملوا عملا. فاحتالوا لصيد الحيتان فيه. فمسخوا قردة مع كونهم مطرودين صاغرين.

٦٦ ﴿فجعلْناها نكالا ..﴾ فحق عليهم جزاء النكول عن العهد فانتكسوا بهذا عن عالم الحيوان والبهيمة. وليس من الضرورى أن يستحيلوا قردة بأجسامهم فقد استحالوا إليها بأرواحهم وأفكارهم. ومضت هذه الحادثة عبرة رادعة للمخالفين فى زمانها وفيما يليه وموعظة نافعة للمؤمنين فى جميع العصور.

٦٧ ﴿وإذْ قال مُوسى لقومه إن الله يأمُرُكم أن تذبحُوا بقرة ..﴾ قال لهم هذا بعد أن قتل فيهم قتيل ولم يعرف قاتله فاختصموا إلى موسى كما يأتى بعد أربع آيات.

٦٨ ﴿قالُوا ادْعُ لنا ربّك يُبيِّن لنا ما هي ...﴾ ما هى وأى شىء صفتها فقال لهم إنها بقرة (لا فارض) أى المسنة (ولا بكر) البكر الصغيرة التى لم تحمل ﴿فافعلُوا ما تُؤمرُون﴾.

٦٩ ﴿قالُوا ادعُ لنا ربّك يُبيِّن لنا ما لوْنُها﴾ قال إنها بقرة صفراء صافية اللون تكاد من صفرتها تبيض وتدخل السرور على الناظرين إذا نظروا إليها.

معانى الكلمات:

مِيثَاقَكُمْ: العهد.

تولَّيتُم: رجعتم.

اعْتَدوْا: تجاوزوا الحد.

خاسئِين: مبعدين.

نَكَالاً: عقوبة.

هُزُواً: السخرية.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا
الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

٧٠ قالُوا ادعُ لنا ربَّك يبيّن لَنا ما هيَ إنَّ البقر تشابه علينا تشابه علينا لكثرتها فميز لنا هذه البقرة وصفها وجلها لنا وإنا إن شاء الله لمهتدون إليها.

٧١ قالَ إنَّهُ يقولُ إنَّها بقرةٌ لاَّ ذلُولٌ .. ليست مذللة بالحراثة وليست من الدواب التى تستخدم فى رفع المياه لسقي الزرع. بل هى مكرمة حسنة قالوا الآن جئتَ بالحقّ فذبحُوها .. وكأنما قبل ذلك ليس حقا.

٧٢ وإذْ قتلتُمْ نفسًا فادَّارأتُم فيها ... وبعد تنفيذ الأمر كشف لهم عن الغاية من الأمر والتكليف. ذلك أنهم قتلوا نفسا منهم ولم يكن هناك شاهد فأراد الله أن يظهر الحق على لسان القتيل وكان ذبح البقرة وسيلة لإحيائها وكان ذلك مجرد وسيلة تكشف لهم عن قدرة الله.

٧٣ فقُلْنا اضْرِبُوهُ ببعْضها .. أى اضربوا القتيل بعضو من أعضاء البقرة التى ذبحوها فضربوه فأحياه الله وتكلم وقال قتلنى فلان ومات بعد ذلك.

٧٤ ثُمَّ قستْ قُلُوبُكُم مِّنْ بعْدِ ذلك .. وبهذا يختم هذا الشطر من الجولة مع بنى إسرائيل فى تاريخهم الحافل بالكفر والتكذيب والالتواء واللجاجة والكيد والدس والقسوة والجدب والتمرد والفسوق. وكانت قلوبهم أقسى من الحجارة.

الدرس الرابع
حديث إلى الجماعة المسلمة
عن بنى إسرائيل
من الآية ١٠٠/٧٥
مدة الحفظ (ثلاثة أيام)

٧٥ أفتطْمعُون أن يُؤْمنُوا لكُم أى أتطمعون أن يصدقوكم وأن يستجيبوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون التوراة وأنهم عمدوا إلى ما سمعوه فجعلوا حلاله حرامًا ومنها تحريف صفة الرسول ﷺ وإسقاط الحدود عن أشرافهم.

سبب نزول قوله تعالى: أفتطْمعُون أن يُؤْمنُوا لكُم قال ابن عباس ومقاتل: نزلت فى السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه إلى الله تعالى فلما ذهبوا معه إلى الميقات وسمعوا كلام الله تعالى وهو يأمره وينهاه رجعوا إلى قومهم، فأما الصادقون فأدوا ما سمعوا وقالت طائفة منهم: سمعنا الله فى آخر كلامه يقول: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس.

٧٦ وإذا لقُوا الَّذين آمنُوا قالُوا آمنَّا ولكن إذا خلوا إلى بعض عاتبوهم على ما أفضوا به للمسلمين من صحة رسالة محمد ﷺ. أو بما حكم عليكم من العذاب فلا تخبروهم فيكون ذلك حجة لهم عليكم أفلا تعْقلُون.

معاني الكلمات:
فارضٌ: المسنة.
ذلُولٌ: السهلة المنقادة.
تُثيرُ: تقلب. مُسلَّمةٌ: سليمة.
لاَّ شية فيها: لا يوجد فيها علامة.
نفْسًا: نفس الرجل الذى قتل.
فادَّارأتُم: تدافعتم.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

٧٧ أَولا يَعْلَمُون أنَّ اللَّه يعْلمُ ما يُسرُّون وما يُعْلنُون يعلم سبحانه وتعالى من أمرهم وكلامهم إذا لقوا الذين آمنوا، وما يسرون إذا خلا بعضهم إلى بعض من كفرهم بمحمد ﷺ وتكذيبهم به.

٧٨ ومنْهمْ أُميُّون لا يعْلمُون الْكتاب إلا أمانيّ أى من اليهود طائفة لم تتعلم الكتابة ولا تحسن القراءة للمكتوب. وقيل هو ما يدعون لأنفسهم أنهم ناجون من العذاب مهما فعلوا.

٧٩ فويْلٌ للَّذين يكْتُبُون الْكتاب بأيْديهمْ فالهلاك والدمار مما تمليه عليهم أهواؤهم لأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم فهم يعلمون أنه من عند الله ولم يكتفوا بالتحريف بل قالوا فى المحافل بأنه من عند اللّه .

سبب نزول قوله تعالى: فويْلٌ لّلّذين يكْتُبُون الْكتاب بأيْديهمْ قال الكلبى: إنهم غيروا صفة رسول الله ﷺ فى كتابهم وجعلوه آدم سبطًا طويلاً. وكان ربعة أسمر وقالوا لأصحابهم وأتباعهم: انظروا إلى صفة النبى الذى يبعث فى آخر الزمان ليس يشبه نعت هذا.

٨٠ وقالُوا لن تمسّنا النّارُ إلاّ أيّامًا مّعْدُودةً .. فكان التلقين الإلهى لهذا الادعاء: قُلْ أتّخذْتُمْ عند اللّه عهدا فلن يُخْلف اللّهُ عهْدهُ .. .

سبب نزول قوله تعالى: وقالُوا لن تمسّنا النّارُ.. عن ابن عباس: أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة نعذب بكل ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا فى النار، وإنما هى سبعة أيام معدودة ثم ينقطع العذاب (فأنزل الله الآية).

٨١ بلىٰ من كسب سيّئة وأحاطتْ به خطيئتُهُ والسيئة من شرك وخطيئة من الخطايا الكبائر ولم يتب حتى يحبط كفره فما له من حسنة فأُولٰئك أصْحابُ النّار هُمْ فيها خالدُون .

٨٢ والّذين آمنُوا وعملُوا الصّالحات .. لأن الإيمان لا يكون حتى ينبثق منه العمل الصالح فأولئك أصْحاب الْجنّة هُمْ فيها خالدُون .

٨٣ وإذْ أخذْنا ميثاق بني إسرائيل لا تعْبُدُون إلاّ اللّه .. هذا الميثاق الذى أخذه الله عليهم فى ظل الجبل والذى أمروا أن يأخذوه بقوة وأن يذكروا ما فيه... فتنكروا لها وأنكروها فيوجه الله إليهم القول ثُمّ توليْتُمْ إلاّ قليلاً مّنكُمْ وأنتُم مُّعْرضُون .

معانى الكلمات:

(يحرفون): الميل بالكلام على وجه لا يدل على معناه (التحريف).

(ليحاجوكم): إبراز الحجة.

أمانيّ: جمع أمنية.

فويْلٌ لّهُم: هلاك ودمار.

أحاطتْ: التفت.

ميثاق: العهد.

تولّيْتمْ: رجعتم.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

ويستمر السياق يوجه الخطاب إليهم:

٨٤ ﴿إذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ..﴾ أى لا يقتل بعضكم بعضا ولا يخرج بعضكم بعضا بطردهم من منازلهم ﴿ثم أقررتم﴾ أى حصل منكم الاعتراف بهذا الميثاق.

فماذا كان بعد الإقرار وهم شاهدون حاضرون؟

٨٥ ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم ..﴾ أى أنتم هؤلاء المشاهدون الحاضرون منهم فى عهد النبى ﷺ تخالفون ما أخذه الله عليكم فى التوراة فتقتلون أنفسكم... وكان ذلك واقعا قريب العهد قبيل غلبة الإسلام على الأوس والخزرج. فكان إذا حارب الأوس الخزرج حارب كل فريق من اليهود مع حليفه فيقتل اليهودى اليهودى ولذلك يواجههم السياق بهذا الاستنكار ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾؟

ثم يلتفت السياق إلى المسلمين والبشرية جميعا:

٨٦ ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ أى استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة. لأنهم خالفوا ميثاقهم مع الله واستمسكوا بميثاقهم مع المشركين.

ثم يمضى السياق يواجههم بمواقفهم تجاه النبوات وتجاه الأنبياء، أنبياؤهم هم:

٨٧ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب ..﴾ والمراد أن الله أرسل على أثر موسى رسلا جعلهم تابعين له وهم أنبياء بنى إسرائيل المبعوثون من بعده وآتينا عيسى بن مريم الآيات الواضحات والمعجزات الظاهرات وأيدناه بجبريل عليه السلام وهنا تأتى المواجهة ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾ وكانت حجتهم فى إعراضهم عن الإسلام أن عندهم الكفاية من تعاليم أنبيائهم. وواجههم القرآن بمواقفهم مع أنبيائهم ﴿ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾.

٨٨ ﴿وقالوا قلوبنا غلف ..﴾ أى مغلقة لا تنفذ إليها دعوة جديدة قالوها تيئيسا لمحمد وصحبه ويقول الله ردا على قولهم ﴿بل لعنهم الله بكفرهم﴾ طردهم وأبعدهم ﴿فقليلا ما يؤمنون﴾

معانى الكلمات:

تسفكون دماءكم: إراقتها.
تظاهرون: تتعاونون.
أسارى: جمع أسير.
خزي: الذل والمهانة.
وقفينا: أرسلناهم.
بروح القدس: جبريل عليه السلام.
قلوبنا غلف: عليها غلاف.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

٨٩ ﴿ولمّا جاءهم كتابٌ من عند الله مُصدّقٌ لما معهم ..﴾ يعنى اليهود لما جاءهم القرآن مصدقا للتوراة والإنجيل أن يخبرهم بما فيهما ويصدقهما ولا يخالفهما ﴿وكانُوا من قبْلُ يسْتفْتحُون﴾ ينتصرون ﴿على الّذين كفرُوا﴾ المشركين - إذا قاتلوهم - ويقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد وصفه فى كتابنا (التوراة) ﴿فلمّا جاءهُم مّا عرفُوا﴾ فى كتبهم ﴿كفرُوا به﴾ فلم يؤمنوا!!

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وكَانُوا من قبْلُ يستفتحُون على الّذين كفرُوا﴾ قال السدى: كانت العرب تمر بيهود فيلقون منهم أذى وكانت اليهود تجد نعت محمد فى التوراة ويسألون الله أن يبعثه فيقاتلون معه العرب فلما جاءهم محمد ﷺ كفروا به حسدا وقالوا: إنما كانت الرسل من بنى إسرائيل فما بال هذا من بنى إسماعيل.

ويفضح السبب الخفى لهذا الموقف الشائن:

٩٠ ﴿بئْسما اشْتروْا به أنفُسهُمْ أن يكفُروا بما أنزل الله ..﴾ وكان الذى حملهم على هذا كله هو حسدهم لرسول الله ﷺ أن يختاره الله للرسالة التى انتظروها فيهم.

٩١ ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ كان ردهم ﴿نُؤمنُ بما أنزل علينا ..﴾ والقرآن فى نهاية الموقف يعجب من قولهم هذا ﴿قُلْ فلم تقتلون أنبياء الله من قبلُ إن كُنتُم مُؤمنين﴾ لا بل كفرتم بما جاءكم به موسى نبيكم الأول ومنقذكم الأكبر:

٩٢ ﴿ولقد جاءكُم مُوسى بالبينات﴾ ومع ذلك ﴿اتخذتُم العجل من بعده﴾ !! فهل كان هذا من وحى الإيمان؟

٩٣ ﴿وإذ أخذنا ميثاقكُم ورفعنا فوقكُم الطُّور ..﴾ وهذا الخطاب لبنى إسرائيل لما كان منهم ويلتفت للمؤمنين فيطلعهم على ما كان منهم عندما قالوا بأفواههم: سمعنا وقالوا بأعمالهم: عصينا أما الصورة الغليظة ﴿وأُشْربُوا﴾ وهى صورة ساخرة هازئة صورة العجل يدخل القلوب ﴿وأُشْربُوا فى قُلُوبهمُ العجل بكُفرهم﴾ أى جعلت قلوبهم لتمكن حب العجل منها كأنها تشربه.

معانى الكلمات:

يسْتفْتحُون : يطلبون النصر.

بغْيًا : حسدا.

فباءُو : رجعوا.

وأُشْربُوا : أى حب.

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ
مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ
مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

٩٤ قُلْ إن كَانَتْ لكُمُ الدَّارُ الآخرَةُ .. فى هذه الآية يتحداهم أن يتمنوا الموت طالما أنهم يملكون الآخرة لما ادعوا أنهم يدخلون الجنة فأمرهم بتمنى الموت لأن من كان موقنا أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة. وأخرج البخارى وغيره من حديث ابن عباس مرفوعا: (لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار).

٩٥ ولن يتمنَّوهُ أبدًا .. والسبب هو ما فعلوه من الذنوب التى يكون فاعلها غير آمن من العذاب بل غير طامع فى دخول الجنة.

٩٦ ولتجدنَّهُمْ أحْرَصَ النَّاسِ علىٰ حَيَاةٍ .. أى حياة لا يهم، ويودون لو يعمرون ألف سنة. ذلك لأنهم لا يرجون لقاء الله ولا يحسون أن لهم حياة غير هذه الحياة.. حياة كثيرة ولبث متطاول.

٩٧ قُلْ من كَانَ عدُوًّا لجِبْرِيلَ .. هذه الآية نزلت فى اليهود جوابا إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولى لهم.

سبب نزول قولِهِ تعالى: قُلْ من كَانَ عدُوًّا لجِبْرِيلَ عن ابن عباس قال: أقبلت اليهود إلى النبى ﷺ فقالوا يا أبا القاسم نسألك عن أشياء فإذا أجبتنا عنها اتبعناك. أخبرنا من الذى يأتيك من الملائكة؟ فإنه ليس من نبى إلا يأتيه ملك من عند ربه عز وجل بالرسالة والوحى فمن صاحبك؟ قال: جبريل قالوا: ذاك الذى ينزل بالحرب وبالقتال، ذاك عدونا. لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالمطر والرحمة اتبعناك. فأنزل الله تعالى الآية.

٩٨ من كان عدُوًّا لِّلَّه ومَلائكته .. إنها الحماقة المضحكة ولكن الغيظ والحقد يسوقان إلى كل حماقة فما بالهم يعادون جبريل !! وجبريل لم يكن بشر يعمل معهم أو ضدهم!!

سبب نزول قوله تعالى: **من كَانَ عَدُوًّا لِّلَّه ومَلائكته** قال مقاتل: قالت اليهود: إن جبريل عدونا أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا. فأنزل الله الآية.

٩٩ ولقدْ أنزلْنا إليْكَ آيَاتٍ **بيِّنَاتٍ** علامات واضحات دالة على نبوتك وهى لشدة وضوحها **ومَا يكْفُرُ بِهَا إلاَّ الفَاسقُون** وذاك الذى اتبع هواه.

١٠٠ **أوَ كُلَّمَا عَاهدُوا عهْدًا نَّبذَهُ فريقٌ مِّنْهُمْ** .. أى طرحه. وبئس هى من خلة فى اليهود تقابلها فى المسلمين خلة أخرى على النقيض وهو الوفاء بالعهد.

١٠١ ولَمَّا جاءَهُمْ رسُولٌ مّنْ عند اللَّه هو محمد ﷺ فماذا حدث نبذوا الرسول والكتاب الجديد **كأنَّهُمْ لا يعْلَمُونَ**.

معاني الكلمات:

خَالصَةً: خاصة.
بمُزحْزِحه: بمبعده.
أن يُعمَّرَ: تعميره ألف سنة.
ميكَال: ملك من الملائكة.
نَبذَهُ: طرحه.
كتَابَ اللَّه: التوراة.

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ
وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ
ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

١٠٢ واتَّبعُوا ما تتْلو الشَّياطينُ علَى مُلْكِ سُلَيْمانَ اتبعوا الأباطيل والترهات التي جمعها شياطين الإنس والجن في صورة رقى وعزائم وكانوا يتحدثون بها ويدعون أنها من عهد سليمان فكأنما سليمان كان ساحرًا!! وَمَا كَفَرَ سُلَيْمانُ وأثبت القرآن الكفر للشياطين ولَكِنَّ الشَّياطِينَ كفرُوا . كما أخبر تعالى في هذه الآية أن ما يتعلمه الناس من الملكين إنما يتعلمون ليفرقوا بين الرجل وامرأته وأن ما يحدث من ضرر هو بإذن الله وَمَا هُم بِضَارِّينَ بهِ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ بإذْنِ اللَّه .

"سبب نزول" قوله تعالى: واتَّبعُوا ما تتْلُو الشَّياطِينُ.. قال السدي: إن الناس في زمن سليمان اكتتبوا السحر فاشتغلوا بتعلمه فأخذ سليمان تلك الكتب وجعلها في صندوق فدفنها تحت كرسيه ونهاهم عن ذلك. ولما مات سليمان وذهب الذين كانوا يعرفون دفنه الكتب فتمثل شيطان على صورة إنسان فأتى نفرًا من بني إسرائيل وقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا؟ قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها. قال الشيطان: إن سليمان ضبط الجن والإنس والشياطين والطيور بهذا. فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود. فبرأ الله عز وجل سليمان من ذلك. (وأنزل هذه الآية).

١٠٣ ولَوْ أنَّهُمْ آمنُوا واتَّقَوْا أي آمنوا بالنبي ﷺ وتجنبوا ما وقعوا فيه من السحر والكفر لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عند اللَّه خَيْرٌ أي لا يثيبوا أجرا خيرا مما ينالونه من حطام الدنيا بالسحر.

الدرس الخامس

كشف دسائس اليهود

وكيدهم للإسلام والمسلمين

من الآية ١٢١/١٠٤

مدة الحفظ (يومان)

١٠٤ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا لا تقُولُوا راعنا .. نهاهم عن قول راعنا لأن اليهود كانوا يقولونها ويقصدون بها المعنى الذي عندهم وهو (السب) وأمر المسلمين أن يقولوا انظُرْنا واسْمَعُوا . ثم توعد اليهود بقوله وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ .

١٠٥ مَا يوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكتاب ولا الْمُشْرِكِين أن يُنزَّل عليْكُم مِّنْ خيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ أي خير لا يودون ذلك لشدة عداوتهم واللَّهُ يخْتصُّ برحْمَته مَن يشَاءُ الرحمة: قيل النبوة وقيل جنس الرحمة والله صاحب الفضل العظيم.

معاني الكلمات:

هَارُوتَ ومَارُوتَ: ملكان وجدا للفتنة.

اشْتراهُ: اشترى.

شَرَوْا: باعوا.

رَاعنَا: أمهلنا.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

١٠٦ ﴿ما ننسخ من آية أو نُنسها نأت بخير منها ..﴾ وحكمة النسخ: أن التعديل الجزئى وفق مقتضيات الأحوال فى فترة الرسالة هو لصالح البشرية ولتحقيق خير أكبر والمعنى ما نبطل أو نزيل من آية أو ننسيكم إياها حتى لا تقرأ ولا تذكر، نأت بما هو أنفع للناس منها فى العاجل والآجل. والنسخ من مقدورات الله سبحانه وتعالى. ﴿ألمْ تعلمْ أنَّ اللَّه علَىٰ كُلِّ شيْءٍ قديرٌ﴾.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ما ننسخْ من آية أو نُنسها﴾ قال المفسرون: إن المشركين قالوا: أترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً يرجع عنه غداً، ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضا. فأنزل الله: ﴿وإذا بدَّلنا آيةً مَّكانَ آيةٍ...﴾ النحل (١٠١) وأيضا انزل هذه الآية.

١٠٧ ﴿ألمْ تعْلمْ أنَّ اللَّهَ لهُ مُلْكُ السَّموات..﴾ والخطاب هنا موجه للمؤمنين يحمل رائحة التحذير فهو أعلم بمصالح عباده وقد يختلف ذلك باختلاف الأزمنة.

١٠٨ ﴿أمْ تُريدُون أنْ تسْألُوا رسُولكُمْ كما سُئِل مُوسَىٰ..﴾ اتريدون ان تسألوا رسولكم كما سأل اليهود موسى من قبل حيث سألوه أن يريهم الله جهرة وسألوا محمد ﷺ أن يأتى بالله والملائكة قبيلا.

١٠٩ ﴿ودَّ كثيرٌ منْ أهْلِ الْكتاب لوْ يرُدُّونكُم منْ بعْدِ إيمانكُمْ كُفَّارًا﴾ وذلك ما يفعله الحقد اللئيم بالنفوس ولماذا؟ ﴿حسدًا مّنْ عندِ أنفُسِهِم﴾ طبعا بعد ما تبين لهم الحق وعرفوا أن محمداً رسول الله. ويدعو المؤمنين إلى الارتفاع عن مقابلة الحقد بالحقد، والشر بالشر وأن يمضوا فى طريقهم الذى اختاره الله لهم ﴿حتَّىٰ يأْتي اللَّهُ بأمْرِهِ﴾ ﴿إنَّ اللَّهَ علَىٰ كُلِّ شيْءٍ قديرٌ﴾.

١١٠ ﴿وأَقِيمُوا الصَّلاة وآتُوا الزَّكَاة ..﴾ وهكذا يوقظ السياق وعى الجماعة المسلمة ويركز على مركز الخطر.

ثم يمضى السياق فى تفنيد دعاوى أهل الكتاب عامة اليهود والنصارى

١١١ ﴿وقَالُوا لَن يدْخُلَ الْجنَّةَ إلاَّ من كَانَ هُودًا أوْ نَصارَىٰ ..﴾ كل طائفة تضلل الأخرى وكل ذلك مجرد أمانى يتمنونها: فأين البرهان إن كنتم صادقين؟

١١٢ ﴿بلَىٰ منْ أسْلم وجْههُ للَّه وهُو مُحْسنٌ﴾ بل يدخلها من أسلم له ذاته وأخلص له عمله من جميع البشر وهو يعمل صالح الأعمال.

معانى الكلمات:

نَنْسَخْ: نبدل.

نُنسهَا: نمحها.

سَوَاءَ السَّبِيلِ: وسط الطريق.

وَدَّ: أحب.

بَلَى: حرف إجابة يأتى بعد نفى.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ
قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

١١٣ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ والقرآن هنا يسجل على الجميع ما يقوله بعضهم فى بعض عقب تفنيد دعوى اليهود والنصارى فى ملكية الجنة. ثم يدع أمر الخلاف بينهم إلى الله ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ فهو الحكم العدل وإليه تصير الأمور.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ نزلت فى يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران وذلك أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود: ما أنتم على شىء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل وقالت النصارى: ما أنتم على شىء من الدين وكفروا بموسى والتوراة (فأنزل الله الآية).

١١٤ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ أى لا أحد أظلم ممن منع من يأتى المساجد للصلاة والتلاوة والذكر وتعليم القرآن وأن يسعى فى هدمها. والنص يوحى بأنه حكم عام. أولئك يستحقون الدفع والحرمان من الأمن، ثم يتوعدهم ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أى الإذلال من الله بأيدى المؤمنين ولهم فى الآخرة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ نار جهنم.

سبب نزول قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ قال قتادة والسدى: هو بختنصر وأصحابه غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس وأعانتهم على ذلك النصارى من أهل الروم. وقال ابن عباس: نزلت فى مشركى أهل مكة ومنعهم المسلمين من ذكر الله فى المسجد الحرام.

١١٥ ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ..﴾ أى جهة تستقبلونها فهناك وجه الله وفى صلاة النافلة كان النبى ﷺ يصلى على راحلته مستقبلا بوجهه الجهة التى تسير إليها.

١١٦ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ..﴾ وهذه المقولة الفاسدة هى مقولة النصارى فى المسيح: واليهود فى العزير كما كانت مقولة المشركين فى الملائكة وهذه الفرق متمثلة الآن فى: الصهيونية العالمية والصليبية العالمية والشيوعية العالمية وهى أشد كفرا من المشركين فى ذلك الحين.

١١٧ ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو الذى ابتدأ خلقها على غير مثال سابق وإذا أراد أن يخلق شيئا أو يدبر تدبيرا ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فيفعل ما يريد بقول كن.

١١٨ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ..﴾ وهؤلاء هم الأميون الذين كانوا مشركين. تشابهت قلوبهم فلا فضل لليهود على المشركين.

١١٩ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أى فيها من التثبيت على شبهات المبطلين ووظيفتك الأداء والبلاغ ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ الذين يدخلون بمعصيتهم.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ قال مقاتل: إن النبى ﷺ قال: «لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا» (فأنزل الله الآية).

معانى الكلمات:
وَسَعَى: عمل. خِزْيٌ: الذل والهوان.
فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ: هناك وجه الله.
قَانِتُونَ: خاضعون. قضى: حكم.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

١٢٠ وَلَن تَرْضَىٰ عنك الْيَهُودُ ولا النَّصَارَىٰ سيظلوا يحاربونك حتى تحيد عن هذا الأمر. فلن يرضيهم إلا أن تتبع ملتهم وتترك ما معك من الحق قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ .

١٢١ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ قيل هم المسلمون يتبعونه ويعملون بما فيه فيحللون حلاله ويحرمون حرامه، ويقرؤونه حق قراءته، ولا يحرفونه ولا يبدلونه.

١٢٢، ١٢٣ يا بني إسرائيل إلى قوله ولا هُمْ يُنصَرُونَ تقدم تفسيره فى الآيتين ٤٧، ٤٨ .

الدرس السادس

قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

من الآية ١٢٣/ ١٤١

مدة الحفظ (يومان)

١٢٤ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ.. الابتلاء: الامتحان والاختبار والكلمات هى قوله قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ ، فَأَتَمَّهُنَّ أى طلب الزيادة بقوله: وَمِن ذُرِّيَّتِي أى واجعل من ذريتى أئمة، فأخبره أن فيهم عصاة وظلمة وأنهم لا يصلحون للإمامة لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وذلك لأن الإمام إنما يكون إماما لكونه يقتدى بقوله وبفعله فى أمور الدنيا فإن كان ظالما أو فاسقا أضل الذين اقتدوا به وحاد بهم عن الصراط المستقيم.

١٢٥ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا والبيت: هو الكعبة. مثابة: يرجع إليه الحجاج بعد تفرقهم. وأمنا: أى موضع أمن. لقد أمروا أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ. هذا مقام إبراهيم. فقلت: يا رسول الله أفلا نتخذه مصلى. (فنزلت هذه الآية) والمقام الحجر الذى يعرفه الناس ويصلون عنده ركعتى الطواف.

١٢٦ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا .. أى مكة وارزق أهله دون من كفر فقال الله تعالى له: وَمَن كَفَرَ أى: أنا أرزق المؤمنين من أهل هذا البيت وعدًا منى وأرزق أيضا من كان كافرًا. (فليس الرزق كالإمامة، فالإمامة لا تكون إلا للمؤمنين والرزق فللمؤمنين والكفار) أما الكافر فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ فمتاعه فى الدنيا فقط.

معانى الكلمات:

مِلَّتَهُمْ: دينهم.

يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ: لا يحرفون كلمة.

لَا تَجْزِي: لا تغنى.

وَعَهِدْنَا: وصينا.

أَضْطَرُّهُ: ألجئه.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

١٢٧ وإذْ يرفَعُ إبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبيْتِ وإسْماعِيلُ يرفع: أى يرفع بنيانه. فيرفع البنيان ونسمع صوتهما يبتهلان رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا وهذه هى الغاية - طلب القبول - لهذا العمل الطيب فإنك سبحانك تسمع دعاءنا وتعلم نيتنا.

١٢٨ رَبَّنا واجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ومِن ذُرِّيَّتِنَا مسلمين لك: ثابتين على الإسلام. إنه رجاء العون من ربهما فى الهداية إلى الإسلام. واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك وأَرِنَا مَنَاسِكَنَا مناسك الحج ومواضع الذبح.

١٢٩ رَبَّنا وابْعَثْ فِيهِمْ رسولاً مِّنْهُمْ وكانت الاستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام هى بعثه الرسول الكريم بعد قرون وقرون. إن الدعوة المستجابة تستجاب ولكنها تتحقق فى أوانها الذى يقدره الله.. غير أن الناس يستعجلون! وغير الواصلين يملون ويقنطون!!

١٣٠ وَمَن يرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إبْرَاهِيمَ إلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ أى: وما يرغب عن ملة إبراهيم أحد إلا من جهل أمر نفسه فلم يفكر فيها. فأهلك نفسه ولَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ أى اخترناه وقت أمرنا له بالإسلام.

١٣١ إذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ .. أى تمسك بالإسلام قَالَ أسلمتُ العالمين هذه هى ملة إبراهيم الإسلام الخالص الصريح.

١٣٢ ووصَّى بهَا إبراهيمُ بنيه ويعْقُوبُ أى بوصية الله له بالتمسك بملة الإسلام أى وصاهم بكلمة: أسلمت لرب العالمين. كما أوصى إبراهيم بنيه قائلاً: يا بنيَّ إنَّ اللَّه اصْطَفَى لكُمُ الدِّينَ أى اختاره لكم فالزموا الإسلام ولا تفارقوه فلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلِمُون أى الزموا الإسلام ولا تفارقوه حتى إذا جاءكم الموت جاء وأنتم على الإسلام.

١٣٣ أمْ كُنتُمْ شُهداء إذْ حضر يعْقُوب الْموْتُ .. الخطاب هنا لليهود والنصارى فرد الله عليهم أشهدتم يعقوب وعلمتم ما أوصى به بنيه فتدعون ذلك عن علم أم لم تشهدوا بل أنتم مفترون.

١٣٤ تلْكَ أُمَّةٌ قدْ خلتْ لها ما كسبت ولَكُم مَّا كَسَبْتُمْ خلت: مضت فلكل حساب ولكل طريق ولكل عنوان. لا ينفع الأبناء كسب الآباء (وهذا تحذير لليهود إذ رفضوا اتباع النبى ﷺ متكلين على أنهم ينتسبون إلى سلف صالح ومغترين بذلك).

معانى الكلمات:

وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا : علمنا كيف نحج.

الْكِتَابَ : القرآن.

الْحِكْمَةَ : السنة.

يُزَكِّيهِمْ : يطهرهم.

وَمَن يَرْغَبُ : ومن يترك.

سَفِهَ : جهل.

اصْطَفَيْنَاهُ : اخترناه.

أَسْلِمْ : انقاد.

خَلَتْ : مضت.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

وبعد ذلك يناقش ادعاءات أهل الكتاب المعاصرين ويعرض لحججهم وجدالهم:

١٣٥ ﴿وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ..﴾ جمع الله قول اليهود والنصارى ليواجههم النبى ﷺ جميعا بكلمة واحدة ﴿قل بل ملة إبراهيم حنيفًا﴾ لإعلان الوحدة الكبرى ويدعو أهل الكتاب للإيمان بهذا الدين.

١٣٦ ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ..﴾ وهذا خطاب للمسلمين وأمر لهم بأن يقولوا هذه المقولة. عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله.

١٣٧ ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ..﴾ وهذه الكلمة من الله وهذه شهادة منه سبحانه، والله سيتولى رسوله وهو كافيه وحسبه ﴿فسيكفيكهم الله﴾.

١٣٨ ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ..﴾ صبغة الله التى شاء لها أن تكون آخر رسالاته إلى البشر. وأصل ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم فى الماء الذى يسمونه المعمودية. ويجعلون ذلك تطهيرا لهم فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانيا حقا فرد الله عليهم بهذا ﴿صبغة الله﴾.

١٣٩ ﴿قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ..﴾ أتجادلوننا فى دينه ونحن وأنتم سواء فى ربوبيته لنا، وعبوديتنا له، فكيف تدعون أنكم أولى به منا؟ وتحاجوننا فى ذلك. ولا مجال للجدل فى وحدانية الله وربوبيته، ومن ثم يضرب السياق عنه، وينتقل إلى مجال آخر.

١٤٠ ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ..﴾ وفى هذا السؤال استنكار ما يقطع الألسنة.. والله مطلع على ما تخفون من الشهادة. أى أتقولون إن هؤلاء الأنبياء على دينكم. إن الله أخبرنا بأنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى بل كانوا على الملة الإسلامية.

١٤١ ﴿تلك أمة قد خلت﴾ أما من مضوا فهم أمة قد أفضوا إلى ما كسبوا وسيجزون به ﴿لها ما كسبت﴾ وأنتم ﴿ولكم ما كسبتم﴾ وستجزون به ولا تجزون بعمل غيركم ولا تسألون عنه.

معانى الكلمات:

تهتدوا: تصيبوا.

ملة: دين.

حنيفًا: مستقيما.

وما أوتي موسى وعيسى: التوراة والإنجيل.

في شقاق: خلاف.

صبغة الله: دينه.

أتحاجوننا: أتجادلوننا.

الدرس السابع

حادث تحويل القبلة

من الآية ١٥٢/١٤٢

مدة الحفظ (يوم واحد)

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

١٤٢ ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ من النَّاسِ مَا ولاَّهُمْ عن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ..﴾ هذا إخبار من الله سبحانه لنبيه ﷺ وللمؤمنين بأن السفهاء من اليهود والمنافقين سيقولون هذه المقالة عندما تتحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة. ويبدأ فى علاج هذا التساؤل والرد عليه ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ويشعرهم بأن تحويل القبلة إلى الكعبة من الهداية للنبى ﷺ ولأهل ملته إلى الصراط المستقيم ﴿يَهْدِي من يشاء إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ نزلت فى تحويل القبلة. عن البراء قال: لما قدم رسول الله ﷺ فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله يحب أن يتوجه إلى الكعبة (فأنزل الله الآية: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ فقال السفهاء من الناس وهم اليهود ـ ﴿مَا وَلاَّهُمْ عن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾.

[أخرجه البخارى: (فتح البارى ١/ ٩٥ – ح ٤٠، ١/ ٥٠٢ – ح ٣٩٩)]

ثم يحدث الأمة عن حقيقتها الكبيرة فى هذا الكون وعن وظيفتها الضخمة:

١٤٣ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ..﴾ إنها الأمة الوسطى. والوسط: الخيار أو العدل لتشهدوا يوم القيامة للأنبياء على أممهم أنهم قد بلغوهم ما أمرهم الله بتبليغه إليهم ويشهد عليكم الرسول بالتبليغ لكم ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. أما عن حكمة اختيار القبلة ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ..﴾ وبعد ذلك يطمئن المسلمين على صلاتهم وإيمانهم فى فترة توجههم لبيت المقدس ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ وهذه نزلت فيمن مات وهو يصلى إلى بيت المقدس. وقيل: ثبات المؤمنين على الإيمان عند تحويل القبلة. وبعد ذلك يعلن استجابة الله لرسوله فى أمر القبلة:

١٤٤ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ ولقد أجابه ربه: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ ثم يعين له هذه القبلة ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قبلة له ولأمته من كل اتجاه فى أنحاء الأرض جميعا ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ثم ما شأن أهل الكتاب وهذه القبلة الجديدة؟ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ إنهم ليعلمون أن المسجد الحرام هو بيت الله الأول ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ إن الذى ينقصهم ليس الدليل ولكن الإخلاص والتجرد من الهوى.

١٤٥ ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ فهم فى عناد، ويقرر حقيقة شأن النبى وموقفه الطبيعى ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ ويستطرد فيكشف عن حقيقة الموقف ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ والموقف هنا يستلزم الشدة فى التحذير ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

معانى الكلمات:

السُّفَهَاءُ: جمع سفيه.

مَا وَلاَّهُمْ: ما صرفهم.

يَنقَلِبُ: يرجع. لَكَبِيرَةً: شاقة.

تَقَلُّبَ: تردد. فَلَنُوَلِّيَنَّكَ: فلنحولنك.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

وما زال السياق يقرر معرفة أهل الكتاب بأن الحق فى هذا الشأن هو ما جاء به القرآن:

١٤٦ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ .. ومعرفة الناس بأبنائهم مثل يضرب فى لغة العرب على اليقين الذى لا شبهة فيه. وإن من علمائهم الذين عرفوا نعت النبى ﷺ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ .

سبب نزول قوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ .. نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه كانوا يعرفون رسول الله ﷺ بنعته وصفته وبعثه فى كتابهم كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه مع الغلمان.

١٤٧ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ والخطاب هنا موجه إلى النبى ﷺ. ورسول الله لم يكن من الممترين ولا افترى ولا شك ولكن توجيه الخطاب يحمل إيحاء قويا إلى من وراءه من المسلمين.

ثم يعود السياق ليصرف المسلمين عن الاستماع لأهل الكتاب:

١٤٨ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا .. وبهذا يصرف المسلمين إلى العمل والاستباق إلى الخيرات إنه الجد الذى تصغر إلى جواره الأقاويل والأباطيل.

ثم يعود فيؤكد الأمر بالاتجاه إلى القبلة مع تنويع التعقيب:

١٤٩ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

١٥٠ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وهذا أمر ثالث من الله تعالى بالتوجه إلى المسجد الحرام من جميع الأقطار. ولقد اختلفوا فى حكمة هذا التكرار ثلاث مرات فقيل: تأكيد لأنه أول ناسخ وقع فى الإسلام، وقيل: بل هو منزل على أحوال فالأمر الأول: لمن هو مشاهد الكعبة والثانى: لمن هو فى مكة غائبا عنها والثالث: لمن هو فى بقية الأمصار. وقيل: لمن خرج فى الأسفار. وعلة هذا التوجيه فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ثم يجىء الإطماع فى إتمام نعمة الله على الأمة الإسلامية: وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .

١٥١ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا .. وهذا تحذير لهذه الأمة مما وقعت فيه الأمم السالفة إذ كفرت بنعم الله تعالى فسلبهم الله ما كان قد وهبهم تأديبا لهم ولغيرهم.

١٥٢ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ .. ولقد ذكر المسلمون الله فذكرهم ومكنهم من القيادة الراشدة ثم نسوه فنسيهم فإذا هم: هم ضائع وذيل تافه ذليل. والله يدعوهم وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ .

الدرس الثامن

توجيهات للأمة المسلمة

من الآية ١٥٣/١٥٧

مدة الحفظ (نفس اليوم السابق)

١٥٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ على تأدية ما أمر الله به ودفع ما يرد عليكم من المحن. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ معهم يؤيدهم ويثبتهم ويقويهم ويؤنسهم ولا يدعهم يقطعون الطريق وحدهم.

معاني الكلمات:

حُجَّةٌ: الدليل.

اسْتَعِينُوا: طلب المعونة والقدرة.

بِالصَّبْرِ: حمل النفس على المكروه.

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

ويستمر السياق في التعبئة الروحية:
١٥٤ ﴿ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات ..﴾ إنهم قتلوا فى ظاهر الأمر وحسبما ترى العين ولكنهم أحياء عند ربهم لا يغسلون كما يغسل الموتى ويكفنون فى ثيابهم.
سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات﴾ نزلت فى قتلى بدر من المسلمين، وكانوا بضعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يقتل فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها (فأنزل الله الآية).
١٥٥ ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ..﴾ لا بد من البلاء ليصلب عود أصحاب العقيدة وأهم من كل ذلك الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها.
١٥٦ ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ إنا لله كلنا، كل ما فينا.. كل كياننا وذاتيتنا.. لله.. وإليه المرجع. هذه الكلمات ملجأ للمصابين وعصمة للممتحنين.
١٥٧ ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ..﴾ إنهم المهتدون إلى سعادتهم وكمالهم. هذه هى التربية التى أخذ الله بها الصف المسلم ليعده ذلك الإعداد العجب.

الدرس التاسع
تصحيح ومواجهة
من الآية ١٥٨/١٧٧
مدة الحفظ (يومان)

١٥٨ ﴿إنَّ الصفا والمروة من شعائر الله ..﴾ أقر الروايات عن سبب نزول هذه الآية أن بعض المسلمين تحرجوا من الطواف بالصفا والمروة فى الحج والعمرة بسبب أنهم كانوا يسعون بين هذه الجبلين فى الجاهلية. فالآن هما من شعائر الله ومن ثم فلا حرج من الطواف بينهما. ثم يختم الآية بتحسين التطوع بالخير إطلاقا ﴿ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾.
وينتقل السياق إلى الذين يكتمون ما أنزل الله وهم اليهود:
١٥٩ ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ...﴾ هؤلاء هم أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ.. فأولئك مطاردون من الله ومن عباده فى كل مكان.
سبب نزول قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا ...﴾ نزلت فى علماء أهل الكتاب وكتمانهم آية الرجم وأمر محمد ﷺ.
١٦٠ ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا ..﴾ استثناء للتائبين من الكتمان والمصلحين لما أفسدوا والمبينين للناس ما بينه الله فى كتبه فليس هؤلاء مستحقين اللعنة.
١٦١ ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ..﴾ عليهم اللعنة لأنهم أغلقوا على أنفسهم ذلك الباب المفتوح وتركوا الفرصة تفلت.
١٦٢ ﴿خالدين فيها ..﴾ خالدين فى النار. وقيل فى اللعنة ولا هم يمهلون.
١٦٣ ﴿وإلهكم إله واحد ..﴾ وهنا يقيم التصور الإيمانى على قاعدته الكبيرة قاعدة التوحيد ومن صفاته ﴿الرحمن الرحيم﴾ فمن رحمته تنبثق كل التشريعات والتكاليف وهذا الكون كله شاهد بالوحدانية فى كل مجاليه.
معانى الكلمات:
مُصيبة: ما يصيب العبد من ضر.
الصَّفا والمروة: جبلان فى مكة.
شعائر: علامة. جناح: إثم.
يطَّوَّف: يسعى بينهما.
يكتمون: يخفون. يلعنهم الله: الطرد.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

١٦٤ ﴿إنَّ في خلق السموات والأرض واختلاف اللَّيل والنَّهار ..﴾ هذه الآية مشتملة على ست آيات كونية. كل آية برهان ساطع ودليل قاطع على وجود الله، وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهى كلها موجبة لعبادته وحده دون من سواه. فمن أمعن نظره وأعمل فكره فى واحدة منها تحتم عليه التصديق بأن صانعه هو الله سبحانه.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿إنَّ في خلقِ السَّموات والأرض ..﴾ عن عطاء قال: أنزلت بالمدينة على النبى ﷺ ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ فقالت كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله: ﴿إنَّ في خلقِ السَّموات والأرض﴾.

١٦٥ ﴿ومن النَّاسِ من يتَّخذُ من دُونِ اللَّه أنداداً ..﴾ ندًا أى يعبده من الأصنام ويحبونهم كحب المؤمنين لله أولئك الذين ظلموا الحق وظلموا أنفسهم لو يروا لرأوا ﴿أنَّ القُوَّةَ للَّه جميعًا﴾ فلا شركاء ولا أنداد ﴿وأنَّ اللَّهَ شديدُ العَذَاب﴾.

١٦٦ ﴿إذْ تبرَّأَ الَّذينَ اتُّبِعُوا من الَّذين اتَّبَعُوا ..﴾.

١٦٧ ﴿وقَالَ الَّذينَ اتَّبَعُوا لوْ أنَّ لنا كرَّةً فنتبرَّأَ منهُم ..﴾ لقد تبرأ المتبعون من التابعين ورأوا العذاب فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب وانشغل كل بنفسه تابعًا أو متبوعًا.. إنه مشهد مؤثر: مشهد التبرؤ والتعادى والتخاصم بين التابعين والمتبوعين. بعد هذا يمضى السياق يدعو الناس إلى التمتع بطيبات الحياة والبعد عن خبائثها.

١٦٨ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا ممَّا في الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ..﴾ وهذا الأمر يمثل طلاقة العقيدة وتجاوبها مع الفطرة، فطرة الكون، وفطرة الناس، ولا تقتفوا أثر الشيطان وعمله ﴿إنَّهُ لَكُمْ عدُوٌّ مُبِينٌ﴾

١٦٩ ﴿إنَّما يأمُرُكُم بالسُّوءِ والفحْشاء ..﴾ السوء: القبيح والفحشاء: الزنى وأن تقولوا ما لا تعلمون من تحريم البحيرة والسائبة ونحوهما مما جعلوه شرعًا.

معانى الكلمات:

وَاخْتِلافِ: تعاقب. وَبَثَّ: نشر.
وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ: إرسالها.
أندادًا: المثل أو النظير.
تَبرَّأَ: تنصل. اتُّبِعُوا: المعبودون.
اتَّبَعُوا: المشركون. كَرَّةً: رجعة.
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ: مسالكه.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ
وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ
بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

١٧٠ ﴿وإذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أنزلَ اللَّهُ ..﴾ وإذا قيل للكفار ردوا وقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا. وهل يتبعون آباءهم فيما كانوا فيه على ضلال مبين.

١٧١ ﴿ومَثلُ الَّذين كفرُوا كمثلِ الَّذي ينْعقُ بما لا يسْمعُ..﴾ وهذه منتهى الزراية بمن يعطل تفكيره ويغلق منافذ المعرفة والهداية. ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهُمْ لا يعْقِلُون﴾ .

ثم يتجه السياق بالحديث إلى الذين آمنوا، يبيح لهم الأكل من الطيبات ويوجههم إلى شكر المنعم.

١٧٢ ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا كُلُوا من طيِّبات ما رزقْناكُم ..﴾ كلوا من الطيب الحلال المستلذ من الأطعمة ولا تحرموا شيئًا لم يحرمه الله ولا تمتنعوا من أكل ما حرمه أهل الجاهلية وغيرهم من تلقاء أنفسهم ﴿إن كُنتُم إيَّاهُ تعْبُدُون﴾ .

١٧٣ ﴿إنَّما حرَّم عليْكُمُ الْميْتة والدَّم ولحْم الخنزير وما أُهلَّ به لغيْرِ الله ..﴾ الميتة: ما فارقها الروح من غير ذبح والمراد ميتة البر. الدم: هو المسفوح لحم الخنزير: جملة الخنزير محرمة، ما أهل به لغير الله: ما ذكر عليه غير اسم الله.

١٧٤ ﴿إنَّ الَّذين يكْتُمُون ما أنزل اللَّهُ من الْكتاب ..﴾ يشمل علماء اليهود لأنهم كتموا ما أنزل الله فى التوراة من صفة محمد ﷺ ويشمل كل من كتم ما شرعه الله وأخذ عليه الرشا. وكل ما يأخذه على ذلك من متاع الدنيا فهو قليل.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذين يكْتُمُون ما أنزل اللَّهُ ..﴾ عن ابن عباس قال: نزلت فى رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول وكانوا يرجون أن يكون النبى المبعوث منهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها ثم أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبى الذى يخرج فى آخر الزمان، لا يشبه نعته هذا النبى الذى بمكة، فإذا نظرت السفلة إلى النعت المتغير وجدوه مخالفًا لصفة محمد ﷺ فلا يتبعونه.

١٧٥ ﴿أُولَئكَ الَّذين اشْترَوُا الضَّلالة بالْهُدَى ..﴾ هؤلاء الذين استبدلوا كل ما عندهم فى كتبهم واعتاضوا عنه الضلالة. . . ﴿فما أصْبرهُمْ على النَّار﴾ فكأنهم بمباشرتهم الأسباب الموجبة لعذاب الله كأنهم صبروا على العقوبة فى النار.

١٧٦ ﴿ذلك بأنَّ اللَّه نزَّل الكتاب بالحقِّ ..﴾ والذين اختلفوا يقول بعضهم هو سحر وبعضهم يقول هو أساطير الأولين هؤلاء ﴿لفي شقاق﴾ أى خلاف ﴿بعيد﴾ عن الحق.

معانى الكلمات:

الْفحْشاء : كل خصلة قبيحة.
ألْفيْنا : وجدنا. ينعقُ : يصيح.
حرَّم : حظر ومنع.
الْميْتة : ما فارقها الروح من غير ذبح. والدَّم : المسفوح السائل.
أُهلَّ به : رفع الصوت.
اضْطُرَّ : أكره. باغٍ : ظالم.
لفي شقاقٍ : فى تنازع.

۞ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١)

١٧٧ ﴿لَيسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ..﴾ ذلك للرد على اليهود والنصارى لما أكثروا الكلام فى شأن القبلة عند تحويل رسول الله ﷺ إلى الكعبة. ليس البر كل البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، وفى هذا تنبيه عظيم للمسلم الذى يقصر إسلامه على الصلاة ولا يبالى بعدها ما ترك من واجبات وما ارتكب من منهيات . . .

الدرس العاشر
التنظيمات الاجتماعية للمجتمع المسلم
من الآية ١٧٨/ ١٨٨
(مدة الحفظ: يوم واحد)

١٧٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ ..﴾ القصاص: أى من قتل مسلمًا عمدًا وجب قتله. فتبين هذه الآية حكم القصاص فى الإسلام وهو المساواة والمماثلة فيقتل الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة ويقتل القاتل بما قتل به لحديث: (المرء المقتول بما قتل به).
سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ﴾ قال الشعبى: كان بين حيين من أحياء العرب قتال وكان لأحد الحيين طول على الآخر فقالوا: نقتل بالعبد منا الحر منكم وبالمرأة الرجل (فنزلت الآية).
١٧٩ ﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ..﴾ باعتبار ما يؤول إليه من ارتداع الناس عن قتل بعضهم بعضًا.

والقصاص ليس الانتقام وليس إرواء الأحقاد.

١٨٠ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ ..﴾ وحضور الموت أى حضور أسبابه ومقدماته. الوصية: ما يوصى به من مال وغيره، أى إن ترك مالاً.

والوصية أى الإيصاء للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين.
ثم نسخ الله تعالى هذا الحكم بآية المواريث ويقول رسول الله ﷺ: (لا وصية لوارث).

١٨١ ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ ..﴾ أى من بدل إيصاء مؤمن أوصى به بأن زاد فيه أو نقص أو غيره أو بدل نوعًا آخر فلا إثم على الموصى ولكن الإثم على من بدل وغير. وختم هذا الحكم بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

معانى الكلمات:

وآتَى: أعطى. البَأْسَاءِ: شدة البأس. وَالضَّرَّاءِ: شدة الضر. كُتِبَ: فرض. عُفِيَ: تنازل. فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ: مطالبة الدية بالرفق. القِصَاصِ: المساواة بالقتل.

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

١٨٢ ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ..﴾ الجنف: الخطأ والإثم: الميل عمدًا (فأصلح بينهم) أى أصلح ما وقع من الورثة من الشقاق والاضطراب بسبب الوصية بإبطال ما فيه ضرارًا ومخالفة لما شرعه الله ﴿فلا إثم عَلَيْهِ﴾.

ولقد كان من الطبيعى أن يفرض الصوم على الأمة المسلمة التى يفرض عليها الجهاد فى سبيل الله:

١٨٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ..﴾ أى افترض عليكم الصوم وهو الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس كما أوجبه على أمة موسى وعيسى عليهما السلام... ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بالمحافظة عليه لأنه يضعف دواعى المعاصى.

١٨٤ ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ..﴾ أيام معينات بعدد معلوم (وهى رمضان نفسه) فإن كان لا يطيق الصوم فإن الإفطار عزيمة، وإن كان يطيقه مع تضرر ومشقة كان الإفطار رخصته. وإذن للمسافر أن يقضى بعد العودة من السفر. وظاهر النص فى المرض والسفر يطلق ولا يحدد فأى مرض وأى سفر يسوغ الفطر ولا يخشى وغاية هذه العبادة هى التقوى.

ثم يعود إلى استكمال السياق:

١٨٥ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ..﴾ هذا القرآن أنزل جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا وقيل: أنزل فى رمضان أول ما نزل من القرآن. وكان نزول القرآن فى ليلة القدر ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أى هاديًا لهم وفيه بينات تختص بالمحكم منه وفرق بين الحق والباطل فمن حضر منكم الشهر ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ ثم استثنى المريض والمسافر وقد جعل الله لهما أيامًا أخر حتى لا يضيع أجرها فهو نعمة كبرى تستحق التكبير والشكر.

وقبل أن يمضى السياق فى بيان أحكام تفصيلية عن مواعيد الصيام نجد لفتة عجيبة إلى أعماق النفس وخفايا السريرة:

١٨٦ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ...﴾ قريب... أية رقة؟ وأى انعطاف؟ وأى شفافية؟ وأى إيناس؟ ويوجه عباده إلى الاستجابة له... وعليهم أن يدعوه، ولا يستعجلون فهو سبحانه يقدر الاستجابة فى وقتها بتقديره.

معانى الكلمات:

جَنَفًا: الخطأ. إِثْمًا: الميل عمدًا.
فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ: صيام أيام أخر
يُطِيقُونَهُ: يتحملونه. تَطَوَّعَ: زاد.
فَمَن شَهِدَ: حضر.
فَعِدَّةٌ: عدة الشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين يومًا. الدَّاعِ: السائل ربه.

ثم يمضى السياق يبين للذين آمنوا بعض أحكام الصيام:

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

١٨٧ ﴿أُحلَّ لَكُم لَيْلَةَ الصِّيام الرَّفثُ إلى نسائكُم﴾ الرفث: المباشرة أو مقدماتها وكلاهما مقصود ومباح ﴿هُنَّ لباس لَكُم وأنتم لباسٌ لهُنَّ﴾ لباس: كناية عن الاختلاط والساتر الواقى فهذه هى الصلة بين الزوجين تستر كلاً منهما وتقيه. والله يعلم أنكم كنتم ﴿تختانون أنفُسكُم﴾ أى: تخونونها بالمباشرة فى أيام رمضان وقد كان ذلك محظورًا فى أول فرض الصيام ﴿فالآن باشرُوهنَّ﴾ فأباح لهم جماعهن ليلاً وابتغوا ما كتب الله لكم من متعة النساء ومن المتعة بالذرية وكما أباح المباشرة أباح الطعام والشراب فى الفترة ذاتها وحتى ينتشر النور فى الأفق ﴿ولا تُباشرُوهُنَّ وأنتُم عاكفُون في المساجد﴾ فالمعتكف من يلازم المسجد يحبس نفسه لهذه العبادة، وللاعتكاف أحكام مستوفاة فى كتب الفقه.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿أحلَّ لكُم ليْلَة الصِّيام الرَّفثُ إلى نسائكُم﴾: قال ابن عباس: وذلك أن المسلمين كانوا فى شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة، ثم إن ناسًا من المسلمين أصابوا من الطعام والنساء فى شهر رمضان بعد العشاء، منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ (فأنزل الله الآية).

١٨٨ ﴿ولا تأكُلوا أموالكُم بينكُم بالباطل ...﴾ وهو سبحانه يحذر من نوع آخر من الأكل. أكل أموال الناس بالباطل. والباطل: ما لم يبح الشرع أخذه من مالكه؟ فهو مأكول بالباطل.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تأكُلوا أموالكُم بينكُم بالباطل﴾: قال مقاتل بن حيان نزلت هذه الآية فى امرئ القيس فى عبدان بن أشرع وذلك أنهما احتصما إلى النبى ﷺ فى أرض، وكان امرؤ القيس المطلوب وعبدان الطالب (فأنزل الله الآية).

الدرس الحادى عشر: الفرائض
من الآية ١٨٩/٢٠٣
مدة الحفظ (يومان)

١٨٩ ﴿يسألُونك عن الأهلَّة﴾ الأهلة: جمع هلال وهو القمر فى بداية ظهوره إنهم سألوا الرسول ﷺ لم خلقت الأهلة؟ فقال لهم: هى مواقيت للناس فى حل دينهم ولصومهم ولفطرهم وعدد نسائهم والشروط التى إلى أجل، ولمناسكهم وحجهم. ﴿وليس البرُّ بأن تأتوا البُيوت من ظُهورها﴾ ورد أن الأنصار كانوا إذا حجوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم وإذا رجع أحدهم إلى بيته بعد إحرامه قبل تمام الحج، يعتقدون أن المحرم لا يجوز أن يحول بينه وبين السماء حائل.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يسألُونك عن الأهلَّة﴾ قال معاذ بن جبل: يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة. (فأنزل الله الآية).

١٩٠ ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكُم﴾ فالقتال لله لا لأى هدف آخر من الأهداف... ومع تحديد الهدف، تحديد المدى ﴿ولا تعتدُوا﴾ والعدوان بتجاوز المحاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الآمنين المسالمين.

معاني الكلمات:

الرَّفث: الجماع.
هنَّ لباسٌ لَكُم: كناية عن الاختلاط.
تختانون: تعرضون.
باشرُوهنَّ: جامعوهن.
عاكفون: منقطعون. وتُدلوا: تلقوا.
تأتوا البُيوت من ظُهورها: تسور جدرانها.

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

١٩١ ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ واقتلوهم حيث وجدتموهم وأخرجوهم من مكة حيث أخرجوكم ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ أى التى أرادوا أن يفتنوكم وهى رجوعكم إلى الكفر ولا تقاتلوهم فى الحرم. فلو بدأوا قتالكم فاقتلوهم أى إن بدؤوكم بالقتال فى حرم مكة فاستمروا فى قتالهم حتى تقتلوهم.

١٩٢ ﴿إن انتهوا ..﴾ عن قتالكم ودخلوا الإسلام فاعفوا عنهم حينئذ فإن الإسلام يجب ما قبله من الآثام.

١٩٣ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ ليأمن كل من كان مسلمًا على دينه ﴿ويكون الدين لله﴾ وهو الدخول فى الإسلام، فمن دخل فى الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله ولا تقاتلوا إلا من قاتلكم.

١٩٤ ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ فالذى ينتهك حرمة الشهر الحرام جزاؤه أن يحرم الضمانات التى يكفلها له الشهر الحرام، ومع هذا فإن إباحة الرد والقصاص للمسلمين توضع فى حدود لا يتعدوا بها ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾ فلا تجاوز ولا مغالاة والمسلمون موكولون فى هذا إلى تقواهم ﴿واتقوا الله﴾ فالله مع المتقين.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ قال قتادة: أقبل نبى الله ﷺ وأصحابه فى ذى القعدة حتى إذا كانوا بالحديبية صدهم المشركون، فلما كان العام المقبل دخلوا مكة، فاعتمروا فى ذى القعدة وأقاموا بها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردوه يوم الحديبية، فأقصه الله تعالى منهم (فأنزل الآية).

١٩٥ ﴿وأنفقوا في سبيل الله ..﴾ وهو الجهاد ولا تستسلموا إلى أسباب الهلاك، بل دبروا لأنفسكم أسباب النجاة - ومن التهلكة: الإقامة فى الأموال لإصلاحها وترك الجهاد فى سبيل الله.

سبب النزول: قوله تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ عن الشعبى قال: نزلت فى الأنصار، أمسكوا عن النفقة فى سبيل الله... (فنزلت الآية).

١٩٦ ﴿وأتموا الحج والعمرة لله ..﴾ والفقرة الأولى هنا تتضمن الأمر بإتمام الحج والعمرة إطلاقا متى بدأ الحاج أو المعتمر فأهل بعمرة أو بحج أو بهما معا وتجريد التوجه لله. فإن منعكم عدو من إكمال الشعائر أو مرض ونحوه يمنع من إتمام هذه الأعمال. وهذا معنى ﴿فإن أحصرتم﴾ ويعود السياق فينشئ حكما جديدا عاما من أحكام الحج والعمرة ﴿ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله﴾ وهذا فى حالة الإتمام وعدم وجود إحصار ثم يستثني ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ ثم يعود إلى حكم جديد عام فى الحج والعمرة ﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي﴾ أى فلينحر ما استيسر من الهدى.. فإذا لم يجد من الهدى فهناك فدية صيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة أيام إذا رجعتم إلى أوطانكم ذلك لمن لم يكن من أهل مكة.. ثم يقف السياق ليعقب تعقيبا قرآنيا ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب﴾.

معاني الكلمات:

ثقفتموهم: تمكنتم من قتالهم.
والفتنة: الشرك.
الشهر الحرام: الحرام فيه القتال.
التهلكة: الهلكة.
فإن أحصرتم: منعتم.
فما استيسر: ما تيسر.
تمتع بالعمرة: أحرم بالعمرة.
فمن لم يجد: أى لم يجد هديا.
حاضري المسجد الحرام: غير أهل الحرم.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

١٩٧ ﴿الحجُ أشهرٌ معلوماتٌ﴾ إن للحج وقتا معلوما هو شوال وذو القعدة والعشر الأوائل من ذى الحجة ﴿فمن فرض فيهنَّ الحجّ﴾ أحرم به فيهن فلزمه الحج ﴿فلا رفث﴾ وهو الجماع والإفحاش بالكلام مع النساء ﴿ولا فُسوق﴾ إتيان المعاصى ﴿ولا جدال﴾ أى المماراة، ويلقى فى حس المؤمن أن الله يعلم ما يفعل. ثم يدعوهم إلى التزود فى رحلة الحج، زاد الجسم وزاد الروح ﴿فإنَّ خير الزّاد التَّقوى﴾ وخير زاد الدنيا ما أعان على التقوى.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وتزوّدوا فإنَّ خير الزّاد التَّقوى﴾ عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، يقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس. (فأنزل الله الآية).

١٩٨ ﴿ليس عليكم جناحٌ أن تبتغوا فضلا من ربّكم﴾ فضلا من ربكم: من التجارة وطلب الرزق فى الحج ﴿فإذا أفضتُم من عرفات﴾ أى دفعتم بعد الوقوف بعرفة بعد غروب الشمس ﴿فاذكُروا الله عند المشعر الحرام﴾ المزدلفة واذكروا الله فيها بصلاة المغرب والعشاء جمعا والصبح إن تيسر.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناحٌ أن تبتغوا فضلا من ربّكم﴾ عن أبى أمامة التيمى قال: سألت ابن عمر فقلت: إنا قوم نكرى فى هذا الوجه، وإن قوما يزعمون أنه لا حج لنا. قال: ألستم تلبون؟ ألستم تطوفون؟ ألستم تسعون بين الصفا والمروة؟ ألستم، ألستم؟ قال: قلت: بلى قال: إن رجلاً سأل النبى ﷺ عما سألت عنه فلم يدر ما يرد عليه حتى نزلت ﴿ليس عليكُم جُناحٌ..﴾ فدعاه، فتلا عليه حين نزلت. فقال: (أنتم الحجاج).

١٩٩ ﴿ثُمَّ أفيضُوا من حيثُ أفاض النّاسُ ..﴾ وهكذا يقيم الإسلام سلوك المسلمين فى الحج على أساس من التصور الذى هدى البشرية إليه. أساس المساواة وأساس الأمة الواحدة التى لا تفرقها طبقة، ولا يفرقها جنس، ولا تفرقها لغة ولا تفرقها سمة من سمات الأرض جميعا.

٢٠٠ ﴿فإذا قضيتُم مَناسككُم فاذكُروا اللهَ ..﴾ فإذا فرغتم من أعمال الحج فاذكروا الله. أى فرغتم من الرمى والذبح والحلق وطواف الإفاضة، ويذكر سبحانه نوعا من الناس همه الدنيا ﴿وما لهُ في الآخرة من خلاق﴾ أى نصيب لأن همه الدنيا لا يريد غيرها.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿فإذا قضيتُم مَناسككُم فاذكُروا الله كذكركُم آباءكُم﴾ قالَ مجاهد: كان أهل الجاهلية إذا اجتمعوا بالموسم ذكروا فعل آبائهم فى الجاهلية وأيامهم وأنسابهم فتفاخروا (فأنزل الله الآية).

٢٠١ ﴿ومنهُم مَّن يقُولُ ربّنا آتنا في الدُّنيا حسنةً﴾ حسنة الدنيا: ما يطلبه الصالحون فى الدنيا من زوجة حسناء وولد صالحين وطيبات الرزق ﴿وفي الآخرة حسنةً﴾ وحسنة الآخرة: رضى الرحمن، والحور العين، وطيبات ما أعد الله للمتقين.

٢٠٢ ﴿أولئك لهُم نصيبٌ ممّا كسبُوا ..﴾ إشارة إلى الفريق الثانى لهم نصيب من جنس ما كسبوا بالدعاء المذكور، ووصف الله نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم.

معاني الكلمات:

فَرَضَ: نوى.

قَضيتم: أديتم.

مِن خَلاق: من الحظ والنصيب.

۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)

٢٠٣ ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ وهى أيام منى - أيام رمى الجمرات فمن رمى فى اليوم الثانى من الأيام المعدودات فلا حرج ومن تأخر إلى الثالث فلا حرج وتختتم الآية. بتذكير مشهد الحشر بمناسبة مشهد الحج ﴿إليه تُحشَرُون﴾

الدرس الثانى عشر
المنهج الربانى فى التربية
من الآية ٢٠٤/٢١٤
مدة الحفظ يوم واحد

٢٠٤ ﴿ومن النَّاسِ من يُعجبك قولُهُ في الحَياة الدُّنيا ..﴾ تعجبك ذلاقة لسانه ونبرة صوته وحديثه عن الخير والبر والإصلاح ويشهد الله زيادة فى التأثير والإيحاء ﴿وهو ألدُّ الخصامِ﴾ فلا ظل للود والسماحة ولا موضع فيها للحب والخير. هذا الذى يتناقض ظاهره وباطنه.

٢٠٥ ﴿وإذا تولَّى سعى في الأرضِ﴾ وإذا انصرف إلى العمل كانت وجهته إلى الشر والفساد. ﴿والله لا يحب الفساد﴾ المفسدون الذين ينشأون فى كل نوع من الفساد، فساد الدين، وما فيه من فساد الدنيا. (وهذا نموذج كل منافق).

٢٠٦ ﴿وإذا قيل لَهُ اتَّقِ الله أخذتهُ العِزَّةُ بالإثم ..﴾ أنكر واستكبر وتعاظم وأخذته العزة بالإثم لا بالحق ولا بالعدل ولا بالخير فيجابهه السياق باللطمة اللائقة بهذه الجبلة النكدة وبالبؤس من كان مهاده جهنم. ذلك نموذج من الناس يقابله نموذج آخر وهو كل خالص الإيمان:

٢٠٧ ﴿ومن النَّاسِ من يشري نفسهُ ابتغاء مرضات اللَّه ..﴾ يشرى: يبيع. فهو يبيع نفسه كلها لله. وهنا معنى آخر: يشرى: بمعنى يشترى نفسه بكل أعراض الحياة ليعتقها ويقدمها خالصة لله.

أسباب نزول قوله تعالى: ﴿ومن النَّاس من يشري نفسه ..﴾ نزلت فى صهيب الرومى عندما ساومه المشركون فى ترك كل أمواله ليتركوه يهاجر من مكة.

٢٠٨ ﴿يا أَيُّهَا الَّذين آمنُوا ادخُلوا في السِّلْم كَافَّةً ..﴾ إنها دعوة للمؤمنين أن يدخلوا فى السلم كافة. والسلم: هو الإسلام. إن المجتمع الذى لا يعرف السلم ينتهى أفراده بالأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه.

أسباب نزول قوله تعالى ﴿يا أيُّها الَّذين آمَنوا ادْخلوا في السِّلْم كافَّة ..﴾ نزلت هذه الآية فى عبد الله بن سلام وأصحابه عندما آمنوا وكانوا يقومون بشرائع النبى ﷺ وشرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحم الإبل وألبانها بعد أن أسلموا.

٢٠٩ ﴿فإن زللتُم مِّن بعد ما جاءتكُمُ البيِّناتُ ..﴾ زللتم: وقعتم فى الفسق والمعاصى وهذا التذكير بأن الله عزيز حكيم يحمل التلويح بالقوة والقدرة والغلبة.

٢١٠ ﴿هل ينظُرُون إلاَّ أن يأتيهُمُ اللهُ ..﴾ هذا السؤال استنكارى عن علة انتظار المترددين المتلكئين الذين لا يدخلون السلم. فلقد قضى الأمر وطوى الزمن وأفلتت الفرصة.

معاني الكلمات:

في أَيَّامٍ مَّعْدُوداتٍ أيام التشريق.
فَمن تعجَّلَ رمى اليوم الأول والثانى.
ومن تأخَّرَ رمى الأيام الثلاثة كلها.
ألَدُّ الْخصامِ قوى الخصومة.
تولَّىٰ رجع.
فِي السِّلْمِ الإسلام.
كَافَّةً جميعا.
الْغمامِ السحاب الرقيق الأبيض.

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

٢١١ ﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم ..﴾ أى اسأل يا محمد واسألوا أيها المؤمنون بنى إسرائيل عن الآيات التى آتيناهم وكيف عوقبوا شديد العقاب عندما بدلوا نعمة الله كفرا ومن يبدل نعمة الله أى هدايته ودينه، وتبديلها: الكفر بها بدل شكر الله عليها ﴿فإن الله شديد العقاب﴾

٢١٢ ﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا ..﴾ وهذا هو التعقيب، فالذين آمنوا فهموا وزنهم فى ميزان الله، والله يدخر لهم كل ما هو خير فهو سبحانه المانع الوهاب وسيظل المؤمنون ينظرون من أعلى إلى أولئك الهابطين مهما أوتوا من المتاع والأعراض ﴿والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة﴾

٢١٣ ﴿كان الناس أمة واحدة ..﴾

ويتبين هنا طبيعة الناس وهى الاختلاف وأنزل الكتاب الحق ليحتكم الناس إليه وحده حين يختلفون. ومع ذلك كان الهوى يغلب على الناس. بغى الحسد والطمع والحرص والهوى. فالذين آمنوا هداهم الله. والله يختار من عباده لهذا الصراط المستقيم من يشاء ممن يعلم منهم الاستعداد والاستقامة على الصراط. أولئك يدخلون فى السلم.

٢١٤ ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ..﴾

وهنا تنتهى هذه التوجيهات بالتوجه إلى المؤمنين الذين كانوا يعانون مشقة الاختلاف بينهم وبين أعدائهم. والمعنى: هل تظنون أن تدخلوا الجنة ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم من أتباع الأنبياء لتصبروا كما صبروا مسهم الفقر المدقع والأمراض والجراحات فى سبيل الله وخوفوا وأزعجوا إزعاجا شديدا، وسؤالهم هنا: متى نصر الله؟ ليصور المحنة التى تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة... وعندما تثبت القلوب على هذه المحنة المزلزلة عندئذ تتم كلمة الله ويجىء النصر من الله. إنه مدخر لمن يستحقونه، ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ نزلت هذه الآية فى غزوة الخندق حين أصاب المسلمون ما أصابهم من الجهد والشدة والحر والخوف والبرد وسوء العيش وأنواع الأذى.

الدرس الثالث عشر

أحكام وأسئلة

من الآية ٢١٥/٢٢٠

مدة الحفظ (يوم واحد)

٢١٥ ﴿يسألونك ماذا ينفقون ..﴾

سألوا عن الشىء الذى ينفقونه ما هو؟ فأجيبوا ببيان المصرف وجاء بترتيب، الأولى وهم أفراد أسرته الأقربين عياله... ووالديه ثم طوائف من المجموع البشرى.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ نزلت فى عمرو بن الجموح الأنصارى وكان شيخا ذا مال كثير فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق؟ وعلى من ننفق؟ (فنزلت الآية)

معانى الكلمات:

سَلْ: اسأل.

مِّنْ آيَةٍ: خارقة للعادة.

ويَسْخَرُون: يحتقرون.

بغْيًا بيْنَهُم: الظلم والحسد.

أَمْ حَسِبْتُم: أظننتم.

متَىٰ نَصْرُ اللَّهِ: الاستفهام للاستبطاء.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

٢١٦ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ..﴾ إن القتال فى سبيل الله فريضة شاقة ولكنها فريضة واجبة الأداء. والإنسان لا يدرى أين يكون الخير وأين يكون الشر لأن الإنسان لا يعلم والله وحده يعلم ما فيه الصلاح والفلاح.

٢١٧ ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ..﴾ وهذه هى الفتوى: القتال فيه كبير ولكن الإسلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات. لكنه يبين عمق الشر فى نفوس أعدائهم فهدفهم هو أن يردوكم عن دينكم. وهذا التحذير من الله قائم إلى آخر الزمان.

٢١٨ ﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله..﴾ هؤلاء يرجون رحمة الله أى الجنة وأنه تعالى غفور لذنوبهم، رحيم بهم، وذلك لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم فى سبيل الله.

٢١٩ ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ ويمضى السياق هنا ليبين للمسلمين حكم الخمر والقمار وكلتاهما لذة من اللذائذ التى كان العرب غارقين فيها. وهذا النص يبين أنه كان أول خطوة من خطوات التحريم. فبين فى النهاية أن إثمهما أكبر من نفعهما، لأنه لا خير يساوى فساد العقل الحاصل بالخمر ولا خير فى الميسر يساوى ما فيه من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر واستجلاب العداوات المفضية إلى سفك الدماء وهتك العرض. ويجيبهم على السؤال الثانى عن ماذا ينفقون قل ﴿العفو﴾ ما فضل من نفقة العيال. وقيل: إن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة المفروضة.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ نزلت فى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أفتنا فى الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل، مسلبة للمال... فنزلت الآية.

معانى الكلمات:

كبيرٌ: ذنب عظيم.

وإخراجُ أهلِه: النبى ﷺ والمهاجرون.

حبطت أعمالُهم: بطلت.

المَيْسر: القمار.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ
الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ
وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا
وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

٢٢٠ ﴿في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى ..﴾ إن الإصلاح لليتامى خير من اعتزالهم والمخالطة لا حرج فيها إذا حققت الخير لليتيم، والله لا يريد إحراج المسلمين وإعناتهم والمشقة عليهم فيما يكلفهم، ولو شاء لكلفهم هذا العنت وهو قادر على ما يريد.

أسباب النزول قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ لما نزلت ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ انطلق من كان عنده مال يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه حتى كان ليفسد بعضه. فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ (فأنزل الله الآية).

الدرس الرابع عشر

دستور الأسرة

من الآية ٢٢١/٢٤٢

مدة الحفظ (ثلاثة أيام)

٢٢١ ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ..﴾ نزلت هذه الآية تحرم أى نكاح جديد بين المسلمين والمشركين. لأن الطريقين مختلفان والدعوتين مختلفتان وكيف يلتقى الفريقان فى وحدة تقوم عليها الحياة... !! وما نراه اليوم من هذه الزيجات شر على البيت المسلم فالزوجة تصبغ بيتها وأطفالها بصبغتها وتخرج جيلا يكون أبعد ما يكون عن الإسلام.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ نزلت فى مرثد الغنوى استأذن النبى ﷺ فى عناق أن يتزوجها وهى امرأة مسكينة من قريش وكانت ذا حظ من الجمال - وهى مشركة - وأبو مرثد مسلم فقال: يا نبى الله إنها تعجبنى (فأنزل الله الآية).

٢٢٢ ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ المحيض: الحيض ﴿قل هو أذى﴾ قذر وضرر فاجتنبوا النساء فى زمان الحيض، ولا تقربوهن حتى ينقطع الحيض. (المراد المجامعة) ويجوز الاستمتاع منها بما عدا الفرج، أو بما دون الإزار.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ كانت اليهود إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت فلم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها فى البيوت فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك. (فأنزل الله الآية).

٢٢٣ ﴿نساؤكم حرث لكم ..﴾ أى مزدرع الذرية كما أن الحرث مزدرع النبات ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ من أى جهة إذا كان فى موضع الحرث. وفى الوقت ذاته تذكروا الغاية والهدف لأنكم فى النهاية ﴿ملاقوه﴾.

٢٢٤ ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم..﴾ أى إذا حلفتم على مقاطعة ذوى أرحامكم أو ألا تتصدقوا، فلا تجعلوا يمينكم بالله مانعة لكم من فعل البر، بل كفر عن يمينك واصنع الخير.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ نزلت فى عبد الله بن رواحة ينهاه عن قطيعة ختنه بشير بن النعمان وذلك أن ابن رواحة حلف ألا يدخل عليه أبدا ولا يكلمه أبدا ولا يصلح بينه وبين امرأته.

معاني الكلمات:

وإن تخالطوهم: تخلطون مالهم مع مالكم.

لأعنتكم: العنت المشقة الشديدة.

ولا تنكحوا: لا تتزوجوا.

ولأمة مؤمنة: خلاف الحرة.

فاعتزلوا: اتركوا.

ولا تقربوهن: لا تجامعوهن.

أنى شئتم: من أى جهة إذا كان ذلك فى موضع الحرث. عرضة: المانعة.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

٢٢٥ ﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ باللَّغْوِ في أيْمانِكُمْ ..﴾ اللغو قول الرجل: لا والله وبلى والله فى حديثه وكلامه غير معتقد لليمين ولا مريد لها، وكذا فى الهزل والمزاح فهذا لا إثم عليه ولا حنث ولا كفارة لأنه ليس بيمين حقيقية.

٢٢٦ ﴿لِلَّذينَ يُؤْلونَ مِن نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أرْبَعَةِ أشْهُرٍ ..﴾ هذا يسمى يمين الإيلاء: وهى أن يحلف الزوج ألا يباشر زوجته إما لأجل محدود وإما لأجل طويل معين فالإسلام هنا لم يترك الرجل مطلق الإرادة فحدد المدة وإلا تلجأ المرأة للقاضى بعد هذه المدة إن لم يرجع الرجل عن يمينه.

٢٢٧ ﴿وإنْ عَزَموا الطَّلاقَ ..﴾ فإن أبى الطلاق، طلق عليه القاضى رفعا للضرر عن المرأة.

٢٢٨ ﴿والمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأنْفُسِهِنَّ ..﴾ ومن هنا يأخذ السياق فى تفصيل أحكام الطلاق فيبدأ بحكم (عدة المطلقة): ثلاث حيضات وما بينهن من الإطهار. وهذا التربص (الانتظار) كى يتبين براءة أرحامهن من آثار الزوجية السابقة، ولا يحل الكتمان لأى حمل أو أى حيض، وأيضا لابد من فترة معقولة يختبر فيها الزوجان عواطفهما بعد الفرقة. فإذا اتضح لهما أثناء العدة أن استئناف الحياة مستطاع فالطريق مفتوح.

٢٢٩ ﴿الطَّلاقُ مَرَّتانِ ..﴾ وهذا هو الحكم الثانى: يختص بعدد الطلقات فالطلاق الذى يجوز بعده استئناف الحياة مرتان فإذا تجاوزهما المتجاوز لم يكن إلى العودة من سبيل، إلا فشرط تنص عليه الآية التالية:

٢٣٠ ﴿فإنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ ..﴾ أى طلقها بعد المرتين السابق ذكرهما. تنكح زوجا غيره (والتحليل حرام لو قصد) فإن طلقها الزوج الثانى يرجع كل واحد منهما لصاحبه. فلهما أن يعقدا الزواج من جديد، وتكون عنده على ثلاث تطليقات.

معانى الكلمات:

يُؤْلُون: الإيلاء: أن يحلف الرجل ألا يطأ امرأته (يجامعها).

تَرَبُّصُ: الانتظار.

فإن فاءُوا: رجعوا.

قُرُوء: مدة الطهر أو مدة الحيض.

وبُعُولَتُهُنَّ: أزواجهن.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)

٢٣١ ﴿وإذا طَلَّقْتُمُ النِّساء فبلغن أَجلَهُنَّ فأمسكوهنَّ بمعروف ..﴾ إن المعروف والجميل والحسنى يجب أن تسود جو هذه الحياة سواء اتصلت حبالها أو انفصمت عراها ولا يجوز أن تكون نية الإيذاء والإعنات عنصرا من عناصرها. ﴿ولا تُمسكوهنَّ ضِرارًا ..﴾: لحاجة أو لمحبة بقصد تطويل العدة. فهذا ضرر، واعتداء يظلم به نفسه لأنها أخته من نفسه فإذا ظلمها فقد ظلم نفسه.

٢٣٢ ﴿وإذا طَلَّقْتُمُ النِّساء فبلغن أجلهنَّ فلا تعضلوهنَّ ..﴾ وهنا ينهاهم أن يمنعوهن من أن يتزوجن من أردن بعد انقضاء عدتهن. وقيل الخطاب للأولياء نهى أحدهم أن يمنع ابنته أو أخته المطلقة من الرجوع إلى زوجها في عدتها.

٢٣٣ ﴿والوالداتُ يُرضِعنَ أولادَهُنَّ حولين كاملين ..﴾ وهذا الحكم يتعلق برضاع الأطفال. والرضاع يكون سنتين كاملتين، وعلى الأب حقٌ لأم الولد القائمة بإرضاعه أن يطعمهما ويكسوهما وهذا فى المطلقات. ولا تكلف المرأة الصبر على تقتير الأب فى الأجرة، ولا يكلف أبو الطفل ما هو إسراف ﴿وعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذلك﴾ أى إذا مات الأب كان على وارث الصبى المولود إرضاعه. ولو أراد الفصال (الفطام) عن الرضاع برضى كل منهما، والاسترضاع هو أن يرضعوا أولادهم من غير الأم فلا بأس إذا سلمتم إلى الأمهات أجرهن لإرضاعهن أو إلى المرضعات لاسترضاعهن دون مماطلة أو نقص.

معانى الكلمات:

أَجَلَهُنَّ: قاربن انتهاء العدة.

سَرِّحُوهُنَّ: تركهن بلا مراجعة.

هُزُوًا: لعبا.

فلا تَعْضُلُوهُنَّ: لا تمنعوهن.

حَوْلَيْنِ: عامين.

الْمَوْلُودِ لَهُ: الأب

إلاَّ وُسْعَهَا: إلا طاقتها.

الْوَارِثِ: وارث هذا الصبى.

فِصَالاً: فطاما للولد قبل العامين.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

٢٣٤ ﴿والذين يُتوفّون منكم ويذرون أزواجا ..﴾ ويأتى هنا بيان حكم المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام وتلبس الحداد أيام العدة، فأما بعد العدة فلا سبيل لأحد عليها، فلها أن تتزين ولها أن تزوج نفسها ممن ترضى، لا تقف فى سبيلها عادة بالية ولا كبرياء زائف.

٢٣٥ ﴿ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء..﴾ هنا أبيح التعريض - لا التصريح - بخطبة النساء. ونهى عن مواعدتهن سرا لما فيه من مجانبة لأدب النفس ومخالفة لذكرى الزوج وقلة حياء من الله. ولا تعقدوا النكاح فى العدة.

٢٣٦ ﴿لا جناح عليكم إن طلّقتم النساء ما لم تمسّوهن..﴾ وهنا بيان لحكم المطلقة قبل الدخول بها ولم يكن لها مهر معلوم فعلى الزوج المطلق أن يمنحها حسبما يستطيع، ويلوح بالمعروف والإحسان، فيندى بها جفاف القلوب.

٢٣٧ ﴿وإن طلّقتموهن من قبل أن تمسّوهن ..﴾ وهنا بيان لحكم المطلقة قبل الدخول بها ولها مهر قد فرض فيجب على الزوج المطلق نصف المهر المعلوم. لكن القرآن يدع الأمر بعد ذلك للسماحة والفضل واليسر. ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾.

معانى الكلمات:

يُتوفّون: يموتون. ويذرُون: يتركون.

حتى يبلُغ الكتابُ أجلهُ: حتى تنتهى العدة. ولا جُناح: لا إثم.

ما لمْ تمسُّوهنّ: ما لم تجامعوهن.

تفْرضُوا لهُنّ فريضةً: تقدروا لهن مهرا.

ومتّعُوهنّ على المُوسع قدرُهُ: ذو السعة فى المال.

المُقتر: الضيق العيش.

الذي بيده عُقدةُ النّكاح: هو الزوج.

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ
قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ
فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً
لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن
مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ
بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾
مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

٢٣٨ ﴿حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوُسْطى وقُومُوا للّه قانتين﴾ والمحافظة على الصلوات هى إقامتها فى أوقاتها. والصلاة الوسطى: الأرجح أنها صلاة العصر. والأمر بالقنوت أى الخشوع إلى الله ﴿وقُومُوا للّه قانتين﴾.

٢٣٩ ﴿فإنْ خفْتمْ فرجالاً أوْ رُكْبانًا ..﴾ أى فى حالة شدة الخوف جاز لكم (أن يصلى الراكب على دابته. والراجل: على رجليه مستقبلا القبلة) فإذا زال خوفكم فارجعوا إلى ما أمرتم به من إتمام الصلاة مستقبلين القبلة ﴿فإذا أمنتمْ فاذْكُرُوا اللّه كما علّمكُم مّا لمْ تكُونُوا تعْلمُون﴾.

٢٤٠ ﴿والّذين يتوفّوْن منكُمْ ويذرُون أزْواجًا ..﴾ هذه الآية تقرر حق المتوفى عنها زوجها فى وصية منه تسمح لها بالبقاء فى بيته والعيش من ماله مدة حول كامل لا تخرج ولا تتزوج إن رأت ما يدعوها للبقاء وذلك مع حريتها فى أن تخرج بعد أربعة أشهر وعشر ليالي.

٢٤١ ﴿وللْمُطلّقات متاعٌ بالْمعْرُوف ..﴾ وهنا تقرر هذه الآية حق المتاع للمطلقات عامة، وتعلق الأمر بتقوى الله.

٢٤٢ ﴿كذلك يُبيّنُ اللّهُ لكُمْ آياته﴾ وهنا يجىء التعقيب على الأحكام السابقة جميعا. ولو تعقل الناس وتدبروا هذا المنهج الإلهى لكان لهم معه شأن هو شأن الطاعة والاستسلام، والرضى والقبول، والسلام الفائض فى الأرواح والعقول. ﴿لعلّكُمْ تعْقلُون﴾.

الدرس الخامس عشر

تجارب وعبر

من الآية ٢٤٣/٢٥٢

مدة الحفظ (يوم واحد)

٢٤٣ ﴿ألمْ تر إلى الّذين خرجُوا من ديارهمْ وهُمْ أُلُوفٌ ..﴾ ألم ينته إلى علمك يا محمد هذه الجموع الكثيرة. ولم يحدد من هم؟ وفى أى أرض؟ وفى أى زمان خرجوا؟ إنما هى عظة وعبرة يراد مغزاها، ويراد أن يقال إن الحذر من الموت لا يجدى، وإن الفزع والهلع لا يزيدان حياة ولا يمدان أجلاً ولا يردان قضاء وإن الله هو واهب الحياة وهو آخذ الحياة.

٢٤٤ ﴿وقاتلُوا في سبيل اللّه﴾ ومغزى القصة السابقة للذين خرجوا من ديارهم وسوقها للجماعة المسلمة ألا يقعدنّ بكم حب الحياة وحذر الموت عن الجهاد في سبيل الله ﴿واعْلمُوا أنّ اللّه سميعٌ عليمٌ﴾.

٢٤٥ ﴿من ذا الّذي يُقْرضُ اللّه قرْضًا حسنًا ..﴾ وهنا تجىء الدعوة إلى الإنفاق فى صورة حية واقعة. إن المال لا يذهب بالإنفاق إنما هو قرض حسن لله مضمون عنده يضاعفه أضعافًا كثيرة. إذًا فلا فزع من الموت، ولا خوف من الفقر، ولا محيد عن الرجعة إلى الله لأنكم ﴿إليْه تُرْجعُون﴾.

معانى الكلمات:

الصّلاة الْوُسْطى: صلاة العصر أو صلاة الصبح.

قانتين: خاشعين.

فرجالاً: مشاة على أرجلكم.

الْحوْل: العام.

فإنْ خرجْن: من بيت الزوج.

أُلُوفٌ: جمع ألف.

يُقْرضُ اللّه: إقراض الله مثل لتقديم العمل الصالح.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟
لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ
يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨)

٢٤٦ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأ مِنْ بَنِي إِسْرائيل ..﴾ وهذه هى التجربة الثانية وأبطالها هم بنو إسرائيل وجاءت هذه القصة للتحريض على القتال بعد القصة المتقدمة وكانت الجبابرة قد تسلطت على بنى إسرائيل واستولت الأمم على ديارهم وقد أراد نبيهم أن يتوثق من صدق عزيمتهم عندما قالوا ﴿نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾ وهنا ارتفعت حماسة فائرة لم تدم طويلا: وتظهر سمة خاصة من سمات بنى إسرائيل فى نقض العهد والنكث بالوعد والتفلت من الطاعة وكان التعقيب على هذا التولى ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

٢٤٧ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ ونبيهم هو صموئيل، والملك يسره لكم وأمركم بطاعته والقتال معه. فقالوا كيف ذلك؟ ولم يكن طالوت من بيت الملك ولا هو ممن أوتى سعة فى المال حتى نتبعه لشرفه أو لماله!! ولقد كشف لهم نبيهم عن أحقيته الذاتية وعن حكمة الله فى اختياره لطالوت واختيار الله هو الحجة القاطعة وزاده ﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾ الذى هو ملاك الإنسان ورأس الفضائل. وزاده بسطة فى ﴿الْجِسْمِ﴾ الذى يظهر به الأثر فى الحروب ونحوها. ليس لفضله ـ سبحانه ـ خازن، وليس لعطائه حد. ﴿يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾.

٢٤٨ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ..﴾ وهنا قد جعل لهم نبيهم علامة من الله أن تقع خارقة يشهدونها لتفيض على قلوبهم السكينة. (والتابوت جاءت به الملائكة تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، فلما رأوا ذلك قالوا: نعم، فسلموا له وملكوه، وكانت الأنبياء إذا حضروا قتالاً قدموا التابوت بين أيديهم)... ثم أعد طالوت جيشه ممن لم يتولوا عن فريضة الجهاد.

معانى الكلمات:

الْمَلأ: أشراف الناس.

اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ: فضله عليكم.

بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ: أى طولا زائدًا.

نَبِيُّهُمْ: صموئيل.

آيَةَ مُلْكِه: علامة.

التَّابُوتُ: صندوق خشبى فيه بقية من آثار موسى عليه السلام.

فِيهِ سَكِينَةٌ: طمأنينة القلب.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

٢٤٩ ﴿فلمّا فصل طالوتُ بالجُنود قال إنّ الله مُبتليكُم بنهر..﴾ أراد هذا القائد (طالوت) أن يختبر إرادة جيشه وصموده وصبره، وصحت فراسته والآية توضح أنهم عصوه ﴿فشربُوا منهُ﴾ وعصوا ملكهم فلم يأذن لهم بالسير معه للقاء العدو: ﴿إلاَّ قليلاً﴾ كانوا بعدد أهل بدر. وقال السدى: كان الجيش ثمانين ألفًا فشرب من النهر ستة وسبعون ألفًا وتبقى منهم أربعة آلاف. ونجد أن التجربة قد كشفت جيش طالوت ﴿قالُوا لا طاقةَ لنَا اليومَ بجالُوتَ وجُنُوده﴾ وهم الفئة التى أطاعوه واختلفوا فى قوة اليقين أما الفئة ﴿الذين يظُنُّونَ أنَّهم مُلاقُوا الله﴾ قالوا: ﴿كَم مّن فئة قليلة غلبتْ فئةً كثيرةً بإذْن الله واللهُ معَ الصّابرين﴾.

٢٥٠ ﴿ولمّا برزُوا لجالُوت وجُنُوده قالُوا ربّنا أفْرغْ علينا صبْرًا..﴾ وبرزت هذه الفئة المؤمنة لتوضح لهم أن النصر ﴿بإذْن اللّه﴾ فلما ظهروا فى مكان المعركة ﴿قالُوا ربّنا أفْرغْ علينا صبرًا﴾ أى أكثر لنا منه. ولقد وضح الموقف إيمان ضد كفر. وكانت النتيجة هى التى ترقبوها واستيقنوها.

٢٥١ ﴿فهزمُوهُم بإذْن الله وقتلَ داوُدُ جالُوتَ..﴾ وهنا تتأكد الحقيقة أن الهزيمة كانت ﴿بإذْن الله﴾ ويبرز السياق دور داود الفتى الصغير، وجالوت الملك القوى والقائد المخيف ولكن الله يرى القوم وقتذاك أن الأمور لا ترى بظواهرها إنما تجرى بحقائقها، وحقائقها يعلمها هو ومن هنا كانت الفئة القليلة المؤمنة الواثقة بالله تغلب فى النهاية، وتنتصر. لأنها تمثل غاية عليا تستحق الانتصار.

٢٥٢ ﴿تلْكَ آياتُ اللّه نتْلُوها عليْكَ بالْحقّ..﴾ وتجىء فى هذه الآية التعقيبات الأخيرة على القصة، نتلو عليك هذه الآية لنزودك بتجارب البشرية كلها فى جميع عصورها، وتجارب الموكب الإيمانى كله فى جميع مراحله، ونورثك ميراث المرسلين أجمعين ﴿وإنَّك لمن المُرْسلين﴾ ﷺ.

معانى الكلمات:

فصلَ طَالُوتُ: انفصل من الديار.

يَطْعَمْهُ: يشرب.

بَرَزُوا لجالُوت: ظهروا.

أفْرغْ: أصبب.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾

الدرس السادس عشر

رسل الله

من الآية ٢٥٣/٢٥٧

مدة الحفظ (نفس اليوم السابق)

٢٥٣ ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ هؤلاء هم جماعة خاصة ذات طبيعة خاصة، وإن كانوا بشرا من البشر، ولقد شاءت إرادة الله أن تبعث بالرسل بين الحين والحين. فمصدر الرسالات هو مصدر واحد وما عداه ضلال وباطل. ﴿منهم من كلم الله﴾ وهو موسى ونبينا سلام الله عليهما ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ وهم ممن عظمت منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى من الأنبياء. وحصل بعد ذلك أن اختلفت أمم الأنبياء بعضهم مع بعض من بعدهم حتى اقتتلوا وصاروا مللا ﴿اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾ ولو شاء الله ما اقتتلوا بعد هذا الاختلاف ﴿ولكنَّ اللَّه يفعل ما يريد﴾ لا راد لحكمه ولا مبدل لقضائه فهو يفعل ما يشاء.

٢٥٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ..﴾ وهي دعوة للذين آمنوا بعد ترك الاختلاف والاقتتال ودعوتهم للإنفاق من رزق الله الذى أعطاهم إياه. . . لدفع الكفر ودفع الظلم.

٢٥٥ ﴿اللّه لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم ..﴾ وهذه هى آية الكرسى وهى تتضمن قواعد التصور الإيمانى وتذكر من صفات الله سبحانه ما يقرر معنى الوحدانية فى أدق مجالاته وأوضح سماته ﴿اللّه لا إله إلا هو﴾ أى لا معبود بحق إلا هو ﴿الحيّ﴾ لا يزول ولا يحول ﴿القيوم﴾ القائم بتدبير الخلق وحفظه ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ أى (النعاس) ولا أحد من عباده يشفع عنده ﴿إلاّ بإذنه﴾ ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ قدامهم من الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من الدنيا ﴿وسع كرسيه﴾ كرسيه علمه (والله أعلم بمراده) ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ لا يثقل على الله تعالى حفظهما وهو ﴿العلي﴾ العالى عن خلقه بارتفاعه عنهم وقدرته عليهم. عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ سأله: (أيّة آية من كتاب الله أعظم؟) قال: آية الكرسى. قال: ليهنك العلم أبا المنذر.

٢٥٦ ﴿لا إكراه في الدين ..﴾ وهنا توضيح لطريق المؤمنين وهم يحملون هذا التصور: فهى ليست قضية إكراه وغصب وإجبار. فالإيمان هو الرشد، والكفر هو الغى. ثم يزيد حقيقة الإيمان وضوحًا فالكفر يجب أن يوجه إلى الطاغوت والإيمان يجب أن يتجه إلى من يجدر الإيمان به وهو ﴿اللّه﴾.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ كانت المرأة من الأنصار لا يكاد يعيش لها ولد فتحلف لئن عاش لها ولد لتهودنه. فلما أجليت بنو النضير إذا منهم أناس من أبناء الأنصار. فقالت الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا (فأنزل الله الآية).

معانى الكلمات:

البيّنات: المعجزات.

لا بيع: لا شراء.

ولا خلة: أى صداقة.

القيوم: القائم بتدبير الأمور.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٥٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)

٢٥٧ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ إن الإيمان نور، وإن الكفر ظلمات، وإذا لم يهتدوا بالنور فليخلدوا إذن فى النار! فالله سبحانه ناصر الذين آمنوا يخرجهم من الشبه المضلة والجهل وعبادة الطواغيت إلى العلم والهداية والإيمان. والذين كفروا وهم أئمة الكفر وفلاسفته يأمرونهم ويزينون لهم الكفر والإلحاد فيخرجونهم من النور الذى هو فطرة الله إلى ظلمات الكفر.

الدرس السابع عشر

سر الحياة والموت

من الآية ٢٦٠/٢٥٨

مدة الحفظ (يوم واحد)

٢٥٨ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ قيل: إنه النمرود وكان ملكا بالعراق ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أبطره وأورثه الكبر والعتو، فحاج إبراهيم ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ عن ابن عباس: أتى برجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر وادعى أنه أحيا وأمات. فكان هذا جوابا أحمق لا يصح نصبه فى مقابلة حجة إبراهيم. فأتاه إبراهيم بحجة لا تجرى فيها المغالطة ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فانقطع وسكت متحيرا.

٢٥٩ ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ..﴾ وهذه القصة لا توضح من الذى مر على القرية؟ وما هذه القرية؟ وتساءل كيف تدب الحياة فى هذا الميت؟ فأماته الله: ولم يقل كيف. ولم يدر كم لبث؟ وما يدريه والإحساس بالزمن لا يكون إلا مع الحياة والوعى. إن الذى يفسر هذه الظاهرة هى طلاقة المشيئة. وفى النهاية ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ أى اتضح له عيانا ما كان مستبعدا فى قدرة الله عنده قبل عيانه ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

معانى الكلمات:

الطَّاغُوتُ: كل ما صرف عن عبادة الله تعالى.

لا انفصامَ لَهَا: لا تنفك ولا تنحل.

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ: انقطع عن الحجة.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

٢٦٠ ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى..﴾ وتجيء تجربة أقرب الأنبياء إلى أصحاب القرآن. فلقد رأى إبراهيم هذا السر يقع بين يديه، طيور فارقت الحياة... وتفرقت، مزقها في أماكن متباعدة.. تدب فيها الحياة مرة أخرى وتعود إليه سعيا. كيف؟ هذا هو السر الإلهي يعلو على التكوين البشري.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ قالوا: ذكر لنا أن إبراهيم الخليل أتى على دابة ميتة قد توزعتها دواب البر والبحر قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ فنزلت الآية.

الدرس الثامن عشر

النظام الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع المسلم

من الآية ٢٦١/٢٧٤

مدة الحفظ: (يوم واحد)

٢٦١ ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله..﴾ هذا المثل يضربه الله سبحانه وتعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته وأن الله يضاعف بلا عدة ولا حساب، يضاعف من رزقه الذي لا يعلم أحد حدوده، ومن رحمته التي لا يعرف أحد مداها ﴿والله واسع عليم﴾ لا يضيق عطاؤه، ولا يكف ولا ينضب وعليم بالنوايا ويثيب عليها.

٢٦٢ ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله..﴾ إن الله سبحانه وتعالى يقرر في النفوس أن المال مال الله وأن الرزق الذي في أيدي الواجدين هو رزق الله، ولذلك لا خوف عليهم من فقر ولا من حقد ولا من غبن ﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما أنفقوا في الدنيا ولا على مصيرهم في الآخرة.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف. أما عبد الرحمن بن عوف إنه جاء إلى النبي ﷺ بأربعة آلاف درهم صدقة. قال: كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي ولعيالي أربعة آلاف درهم وأربعة آلاف أقرضتها لربي. فقال له رسول الله ﷺ: بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت. وأما عثمان رضي الله عنه فقال: علي جهاز من لا جهاز له في غزوة تبوك فجهز المسلمين بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وتصدق برومة - ركية كانت له - على المسلمين، (فنزلت فيهما الآية).

٢٦٣ ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾ إن الرد الجميل خير من الصدقة التي يتبعها أذى والمراد بالمغفرة: الستر لسوء حال المحتاج والعفو عن السائل إذا صدر من الإلحاح ما يكدر صدر المسئول.

٢٦٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى..﴾ وهنا يتوجه الخطاب إلى الذين آمنوا ألا يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى. ونحن هنا في هذا المشهد أمام منظرين: الأول: أمام قلب صلد. والثاني: قلب عامر بالإيمان. ومن ثم جاء التعقيب في هذه الآية ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

معاني الكلمات:

خاوية: فارغة من سكانها.

أنى: كيف. لم يتسنه: لم يتغير.

ننشزها: نحييها بعد موتها.

فصرهن: أملهن واضممهن إليك وقطعهن أجزاء.

يأتينك سعيا: مشيا.

منا: التحدث بما أعطى.

ولا أذى: السب والتطاول.

رئاء الناس: مراءاة.

صفوان: حجر أملس.

وابل: مطر شديد. صلدا: أملس.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

٢٦٥ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ..﴾ قال الحسن: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت: فإن كان لله فَعَلْ، وإن كان لغير ذلك أمسك. فهذا القلب المؤمن تزداد صلته بالله... ومن ثم جاء التعقيب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

٢٦٦ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ..﴾ ويجيء هذا المشهد الثانى فتمثيل لنهاية المن والأذى: من ذا الذى يود أن تكون له هذه الجنة ثم يرسل الريح الشديدة التى تهب من الأرض إلى السماء تمحقها محقا كما يمحق الجنة الإعصار وهنا الـ ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ ومتى؟ فى أشد الساعات عجزا عن إنقاذها وحاجة إلى ظلها!!! وهذه الآية لمن يعمل خيرا، ويضم إليه ما يحبطه فيجده يوم القيامة عند شدة حاجته إليه لا يسمن ولا يغنى من جوع - بحال من له هذه الجنة الموصوفة، وهو متصف بتلك الصفة.

٢٦٧ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ..﴾ وهنا نداء عام للذين آمنوا يشمل جميع الأموال التى تصل إلى أيديهم تشمل ما كسبته أيديهم من حلال طيب... ومن ثم جاء التعقيب ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ غنى عن إعطاء الناس، حميد: يتقبل الطيبات.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أمر رسول الله ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر فجاء رجل بتمر (ردىء) (فنزلت الآية).

٢٦٨ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ..﴾ الشيطان يخوفكم الفقر فيثير فى نفوسكم الحرص والشح والتكالب، والله يعدكم المغفرة والعطاء، فالفضل زيادة فوق المغفرة والله ﴿وَاسِعٌ﴾ يعطى عن سعة ﴿عَلِيمٌ﴾ ويعلم ما يوسوس فى الصدور.

٢٦٩ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ..﴾ وهنا تقرير لحقيقة أخرى أن من أراد الهداية وسعى لها سعيها وجاهد فإن الله لا يحرمه منها بل يعينه عليها.

معانى الكلمات:

ابْتِغَاء: طلبا.

جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ: بستان مرتفع.

إِعْصَارٌ: ريح عاصف.

وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ: لا تقصدوا المال الردىء.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

٢٧٠ ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر . إن الله يعلم ما ينفقه المنفق ويجزى على الفعل ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ أي لا نصير للظالمين أنفسهم بما وقعوا فيه من الإثم لمخالفة الأمر بالإنفاق والوفاء بالنذر.

٢٧١ ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾ وبهنا يتضح أن شعور المؤمن بأن عين الله ـ سبحانه ـ على نيته وضميره يثير في حسه مشاعر حية متنوعة. إخفاء الصدقة حين تكون تطوعا أولى وأحب إلى الله. فلكل حالة ما يناسبها من التصرف ويعدهم بتكفير السيئات.

٢٧٢ ﴿ليس عليك هداهم﴾. إن أمر القلوب وهداها وضلالها ليس من شأن أحد من خلق الله فلتفسح لهم صدرك ﴿ليس عليك هداهم﴾ شأن المؤمن لا ينفق عن هوى، ولا عن غرض ولكن ابتغاء مرضاة الله.

٢٧٣ ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾.. الوصف هنا ينطبق على جماعة المهاجرين، تركوا وراءهم أموالهم وأهلهم وأقاموا فى المدينة ووقفوا أنفسهم على الجهاد فى سبيل الله. ولكن النص عام ينطبق على سواهم فى جميع الأزمان، ينطبق على الكرام المعوزين. إنهم يتحملون كى لا تظهر حاجتهم وهؤلاء لا يكون إعطاؤهم إلا سرا وفى تلطف لا يخدش إباءهم ولا يجرح كرامتهم.

٢٧٤ ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار﴾. وأخيرا يختم دستور الصدقة بنص عام شامل: كل طرائق الإنفاق، وكل أوقات الإنفاق.

معانى الكلمات:

إن تبدوا: تظهروا.

فنعما هي: فنعم تلك الصدقة.

يوف إليكم: يؤد.

أحصروا: حبسوا.

ضربا في الأرض: سيرا فيها.

التعفف: ترك السؤال.

إلحافا: إلحاحا.

الدرس التاسع عشر
(الربا)
من الآية ٢٧٥/ ٢٨١
مدة الحفظ (يوم واحد)

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ
فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)

٢٧٥ ﴿الذين يأكلون الربا ..﴾ قال النبى ﷺ: لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء) هؤلاء لا يقومون - أى يوم القيامة - إلا كالمصروع، قالوا: إنه يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتا عند أهل الحشر، وذلك بسبب قولهم أنهم جعلوا البيع والربا واحدا. لكن الفرق بينهما أن الله أحل البيع وحرم نوعا من أنواعه وهو البيع المشتمل على الربا. فمن امتثل وانزجر فما تقدم من الربا لا يؤاخذ به لأنه فعله قبل أن تنزل آية تحريم الربا وأمره إلى الله فى العفو عنه وإسقاط التبعة فيه ومن عاد إلى الربا فأولئك خالدين فى النار.

٢٧٦ ﴿يمحق الله الربا ..﴾ وتواصل الحملة المفزعة والتصوير المرعب فيذهب الله بركته فى الدنيا وإن كان كثيرا، ويزيد فى المال الذى أخرجت صدقته ويبارك فى ثوابها ويضاعفه. ﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ وهذا التعقيب هنا قاطع فى اعتبار من يصرون على التعامل الربوى - بعد تحريمه - من الكفار الآثمين الذين لا يحبهم الله.

٢٧٧ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم﴾ وهنا نجد فى الصفحة المقابلة يعرض صفحة الإيمان والعمل الصالح والعنصر البارز فى هذه الصفحة عنصر (الزكاة) عنصر البذل بلا عوض ولا رد.

٢٧٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ..﴾ يهتف الله بالذين آمنوا الهتاف الأخير ليحولوا حياتهم عن النظام الربوى وإلا فهى الحرب المعلنة من الله ورسوله بلا هوادة ولا إمهال ولا تأخير فهذه صفحة الترهيب الذى يزلزل القلوب.

٢٧٩ ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ..﴾ يا للهول حرب من الله ورسوله حرب رهيبة معروفة المصير... ثم دعاهم إلى التوبة من الإثم والخطيئة.

٢٨٠ ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ..﴾ ويكمل السياق الأحكام المتعلقة بالدين فى حالة الإعسار، إن الإنظار إلى ميسرة والتحبيب فى التصدق لمن يريد مزيدا من الخير أوفى وأعلى.

٢٨١ ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾ فالتقوى هى الحارس القابع فى أعماق الضمير يقيمه الإسلام، هناك لا يملك القلب فرارا منه لأنه فى الأعماق، هناك وهذا اليوم هو يوم الموت. عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت من القرآن على النبى ﷺ ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾ وكان بين نزولها وبين موت النبى ﷺ واحد وثلاثون يوما. وعن النبى ﷺ قال: كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسرا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه.

معانى الكلمات:

يأكلون الربا: يأخذون.

لا يقومون: من قبورهم.

يتخبطه: يضربه. من المس: الجنون.

يمحق: يذهب. ويربي: يبارك.

ذروا: اتركوا. فأذنوا: اعلموا.

ذو عسرة: الشدة والضائقة المالية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

الدرس العشرون
القرض الحسن
من الآية ٢٨٢/٢٨٤
مدة الحفظ (يوم واحد)

٢٨٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ..﴾ المبدأ العام الذى يريد تقريره هو الكتابة، لأنها أمر مفروض بالنص غير متروك للاختيار فى حالة الدين لأجل ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ فيعين هنا الشخص الذى يقوم بالكتابة فهو كاتب وليس أحد المتعاقدين. ﴿فليكتب وليملل الذى عليه الحق﴾ ويبين كيف يكتب، والمدين الذى عليه الحق هو الذى يملى على الكاتب اعترافه بالدين ومقدار الدين وشروطه وأجله، ذلك أن يقع الغبن على المدين لو أملى الدائن. ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ فينتقل الشارع إلى نقطة الشهادة وتلبيتها فريضة، وليست تطوعا فهى وسيلة لإقامة العدل والحق. ويعود بعد ذلك ليؤكد ضرورة الكتابة بغض النظر عن حجم الدين ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا﴾ لأن ذلك ﴿أقسط﴾ أعدل وأفضل ﴿وأقوم﴾ من الشهادة الشفهية. ذلك الدين المسمى إلى أجل. أما التجارة الحاضرة فإن بيوعها مستثناة من قيد الكتابة وتكفى فيها شهادة الشهود للعمليات التجارية ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم﴾ وفى النهاية لا يقع ضرر على كاتب ولا شهيد ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ بسبب أدائه لواجبه الذى فرضه الله عليه.

معانى الكلمات:

تداينتم : داين بعضكم بعضا.
أجل مسمى : وقت محدود.
بالعدل : بلا زيادة وبلا نقصان.
ولا يأب كاتب : لا يمتنع.
وليملل : الإملاء اعتراف.
ولا تسأموا : لا تملّوا ولا تضجروا.
أقسط : أعدل. وأقوم : أثبت.
أدنى ألا ترتابوا : أقرب ألا تشكّوا.
تديرونها : أى تتعاطونها.
فسوق بكم : أى خروج عن طاعة ربكم.

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣) لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٨٦) ﴾

٢٨٣ ﴿وإن كُنتم علىٰ سفرٍ ولم تجدُوا كاتبا﴾ وهذه تكملة فى أحكام الدين حين يكون الدائن والمدين على سفر فلا يجدان كاتبا فتيسيرا للتعامل مع ضمان الوفاء ﴿فرهانٌ مَّقبوضةٌ﴾

٢٨٤ ﴿للَّه ما في السَّموات وما في الأرض..﴾ ويستمر السياق فى توكيد هذه الإشارة ويعقب على التشريع المدنى البحت بهذا التوجيه الوجدانى البحت، فالإسلام يصبغ القلوب التى يشرع لها، ويصبغ المجتمع الذى يقنن له، صبغة إلهية متكاملة، تربية وتشريعًا، وتقوى وسلطانًا، ومنهجًا للإنسان من صنع الخالق. ﴿وإن تُبدُوا ما في أنفُسكُم أو تُخفُوهُ يُحاسبْكُم به اللَّهُ﴾ يحاسب العباد على ما أظهروه وما أضمرته أنفسهم من الأمور التى يحاسب عليها.

الدرس الحادى والعشرون
آيتان ومسك الختام
من الآية ٢٨٥/٢٨٦

مدة الحفظ (نفس اليوم السابق)

٢٨٥ ﴿آمن الرَّسُولُ بما أُنزل إليْه من رَّبِّه والْمُؤْمنُونَ﴾ إنها صورة للمؤمنين، للجماعة المختارة التى تمثلت فيها حقيقة الإيمان فعلاً. إنه الإيمان الشامل الذى جاء به هذا الدين ﴿كُلٌّ آمنَ باللَّه﴾ ليس هناك شركاء فى الألوهية والربوبية، ولا فى العبادة ﴿وملائكته﴾ والإيمان بالملائكة طرف من الإيمان بالغيب. ﴿وكُتُبه ورُسُله لا نُفرِّقُ بيْن أحدٍ مّن رُّسُله﴾ وذلك هو المقتضى الطبيعى الذى ينبثق من الإيمان بالله ﴿وقالُوا سمعْنا وأطعْنا﴾ فيتوجهون إلى ربهم بالطاعة والتسليم.

٢٨٦ ﴿لا يُكلِّفُ اللَّهُ نفْسًا إلاَّ وُسْعها..﴾ وهكذا يتصور المسلم رحمة ربه وعدله فى التكاليف التى يفرضها الله عليه فى خلافته للأرض. ثم الشطر الثانى من هذا التصور ﴿لها ما كسبتْ وعليْها ما اكْتسبتْ﴾ فردية التبعة. ثم ينطلق المؤمنون بدعاء خافق واجف... دعاء يصور حال المؤمنين مع ربهم وإدراكهم لضعفهم وعجزهم ﴿ربَّنا لا تُؤاخذْنا إن نَّسينا أوْ أخْطأْنا﴾ فدائرة الخطأ والنسيان هى التى تحكم تصرف المسلم. إنه الختام الذى يلخص السورة ويلخص العقيدة ويلخص تصور المؤمنين وحالهم مع ربهم فى كل حين.

معانى الكلمات:

فرهانٌ مَّقْبُوضةٌ : يضع المدين رهنًا لدى الدائن.

وإن تُبْدُوا : تظهروا.

وإليْك الْمصيرُ : المرجع.

لها ما كسبتْ : من الخير.

وعليْها ما اكْتسبتْ : من الشر.

لا تُؤاخذْنا : لا تعاقبنا.

إصْرًا : تكليفًا شاقًا.

موْلانا : مالكنا وسيدنا.

ثانيًا:

سورة آل عمران

القسم الأول: دروس السورة.

القسم الثانى: تفسير وبيان وأسباب النزول ومعانى الكلمات.

(جميع أسباب نزول الآيات المذكورة أخذت من كتاب:
أسباب النزول: للنيسابورى)

سورة آل عمران

هى سورة مدنية لأن صدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزل فى نجران وكان قدومهم فى سنة تسع من الهجرة، وآياتها مائتا آية.

❖ ذكر ما ورد فى فضلها مع سورة البقرة:

قال رسول الله ﷺ: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»[1]. «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صوّاف..»[1]. «إقرأوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة، اقرأوا الزهراوان البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان طير صواف يحاجان عن أهلهما يوم القيامة، ثم قال اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»[3].

وفى الأثر: «من قرأ البقرة وآل عمران فى يوم برئ من النفاق حتى يمسى ومن قرأهما فى ليلة برئ من النفاق حتى يصبح». وقيل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «من قرأ البقرة وآل عمران فى ليلة كان - أو كتب - من القانتين».

هذه السورة: تمثل قطاعًا حيًا من حياة الجماعة المسلمة فى المدينة من بعد (غزوة بدر) من السنة الثانية من الهجرة - إلى ما بعد (غزوة أحد) فى السنة الثالثة من الهجرة:

١ - فى هذه الفترة كانت الجماعة المسلمة فى المدينة قد استقرت بعض الاستقرار فى موطنها الجديد.

٢ - كانت غزوة بدر الكبرى قد وقعت وكتب الله فيها النصر للمسلمين على قريش وبدأت بذرة النفاق فى المدينة.

٣ - وجد هؤلاء المنافقون حلفاء طبيعيين لهم فى اليهود.

٤ - فى هذه الفترة وقعت حادثة بنى قينقاع فوضح العداء وسفر.

٥ - وكان المشركون موقورين من هزيمتهم يوم بدر ويحسبون ألف حساب لانتصار المسلمين.

٦ - وفى المعسكر الإسلامى صفوة مختارة من المهاجرين والأنصار وأيضًا نفوس

(١) أحمد (٢٣٠٠)، والدارمى فى سننه (٣٩٩١) من حديث بريدة.

(٢) نفسه.

(٣) مسلم (٨٠٤)، وأحمد (٢٢٢٠٠) من حديث أبى أمامة.

وشخصيات لم تتضح بعد وعناصر من المنافقين أدت إلى خلخلة الصف الإسلامى.

٧ ـ وكان لليهود مكانتهم فى المدينة ولهم ارتباطات وتعهدات مع أهلها.

٨ ـ ومن ناحية أخرى كان المسلمون قد انتصروا فى بدر ذلك النصر الكامل الباهر بأيسر الجهد والبذل. وكانت حكمة الله فى هذا النصر رغم قلة العدد والعدة لتثبيت الدعوة الناشئة وتمكينها.

❖ **من أسباب النزول:**

أخرج ابن جرير الطبرى بأسانيد صحيحة أن وفد نجران والمكون من ستين راكبًا فيهم أشرافهم وأهل الحل والعقد منهم وفدوا على رسول الله ﷺ يحاجونه فى أمر المسيح عليه السلام ويريدون أن يثبتوا إلهيته بالادعاء الباطل فأنزل الله تعالى نيفًا وثمانين آية من فاتحة السورة إلى الثمانين وذلك لرد أباطيلهم، وإقامة الحجج عليهم.

وحين نراجع غزوة أحد نجد أن تعليم المسلمين هذا الدرس قد كلفهم أهوالاً وجراحات وشهداء من أعز الشهداء ـ على رأسهم حمزة رضى الله عنه وأرضاه وما تعرض له الرسول ﷺ.

ويسبق استعراض (غزوة أحد) قطاع كبير كله توجيهات متشعبة لتصفية التصور الإسلامى من كل شائبة ولتقرير حقيقة التوحيد.

ويعتبر النصف الأول من السورة: يصور جانبًا من جوانب الصراع بين العقيدة الإسلامية والعقائد المنحرفة فى الجزيرة العربية.

أما القطاع الثانى فى السورة: فهو خاص بغزوة أحد. وعلاقة هذا المقطع بالمقطع الأول فى السورة ظاهرة:

❖ فهو يتولى عملية بناء التصور الإسلامى وتجليته فى مجال المعركة والحديد ساخن.

❖ كما يتولى عملية تثبيت هذه الجماعة على التكاليف المفروضة على أصحاب دعوة الحق فى الأرض. مع تعليمهم سنة الله فى النصر والهزيمة.

وختامًا لكى يتم التعريف المجمل لهذه السورة.

فهذه هى الخطوط العريضة تتلخص فى ثلاثة خطوط:

أولاً: بيان معنى الدين ومعنى الإسلام (فالدين الذى يقبله الله من عباده هو الإسلام).

ثانيًا: هو تصوير حال المسلمين مع ربهم واستسلامهم له وتلقيهم لكل ما يأتيهم بالقبول.

ثالثًا: هو التحذير من ولاية غير المؤمنين والتهوين من شأن الكافرين. وتقرير أنه لا إيمان ولا صلة بالله مع تولى الكافرين الذين لا يحتكمون لكتاب الله.

الدرس الأول

(الصراع بين العقيدة الإسلامية الخالدة والعقائد المنحرفة في الجزيرة العربية)

من الآية رقم (١) من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ...﴾
إلى الآية رقم (٣٢) إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ...﴾
(مدة حفظ الدرس): (ثلاثة أيام)

في هذا الدرس منذ ابتدائه تحديد لمفرق الطريق بين عقيدة التوحيد الخالصة الناصعة والشبهات والانحرافات، وتهديد لمن يكفر بالفرقان وآيات الله فيه، واعتبارهم كفاراً ولو كانوا من أهل الكتاب، وبيان لحال المؤمنين مع ربهم وموقفهم مما ينزل على رسله وهو بيان يحدد الموقف ويحسمه، فللإيمان علاماته التي لا تخطئ، وللكفر علاماته التي لا شبهة فيها كذلك.

كما أن هذا الدرس يحمل تهديداً لا خفاء فيه أنه يتضمن تعريضاً باليهود وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. كذلك يبدو من التلقين الموجه للرسول ﷺ في آية ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ ولو أنه في مناسبة خاصة إلا أنه تلقين عام شامل لمواجهة كل المخالفين له في العقيدة.

وهكذا نرى من طبيعة النصوص أنها مواجهة عامة غير مقيدة بمناسبة واحدة هي مناسبة وفد نجران، وقد تكون هذه إحدى المناسبات التي نزلت هذه النصوص لمواجهتها.

ثم يتضمن هذا الدرس الأول إيضاحات قوية لأسس التصور الإسلامي من ناحية العقيدة وإلى جانبها إيضاحات قوية كذلك في طبيعة هذه العقيدة وآثارها في الحياة الواقعية.

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس
من صـ (١١٣) إلى صـ (١١٧)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثاني	الثالث
آيات الحفظ	من	١	١٤	٢٣
	إلى	١٣	٢٢	٣٢

الدرس الثانى

(قصة عيسى عليه السلام)

من الآية رقم (٣٣) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾
إلى الآية رقم (٦٤) إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾
(مدة حفظ الدرس): (ثلاثة أيام)

قصة عيسى هذه وما جاء من القصص مكملاً لها فى هذا الدرس. تؤكد القضية الأصلية التى يركز عليها سياق السورة وهى قضية التوحيد. توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وتنفى فكرة الولد والشريك وتستبعدها استبعادًا كاملاً فى هذا الدرس وأنه واحد من سلالة الرسل، وتفسر الخوارق التى صاحبت مولده وسيرته تفسيرًا لا تعقيد فيه ولا غموض من شأنه أن يريح القلب والعقل ويدع الأمر فيها طبيعيًا عاديًا لا غرابة به، حتى إذا عقب على القصة بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

والقضية الثانية: التى تنشأ من القضية الأولى فى سياق السورة كله هى: قضية حقيقة الدين وأنه الإسلام، ومعنى الإسلام، وأنه الاتباع والاستسلام ترد فى قول عيسى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وفى هذا القول تقرير لطبيعة الرسالة.

ثم يرد معنى الاستسلام والاتباع على لسان الحواريين: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وهذا القصص يعرض جملة صالحة من حال المؤمنين مع ربهم اصطفاها وجعلها ذرية بعضها من بعض وتتمثل هذه الصور الوضيئة فى حديث:

امرأة عمران مع ربها، وحديث مريم مع زكريا، ودعاء زكريا، وفى رد الحواريين على ربهم ودعائهم لربهم وهكذا.

حتى إذا انتهى القصص جاء التعقيب متضمنًا وملخصًا هذه الحقائق معتمدًا على وقائع القصص فى تقرير الحقائق التى يقررها.. فيتناول:

حقيقة عيسى - عليه السلام -، وطبيعة الخلق والإرادة الإلهية، والوحدانية الخالصة ودعوة

أهل الكتاب إليها، ودعوتهم إلى المباهلة[1] عليها، وينتهى الدرس ببيان جامع شامل لأصل هذه الحقيقة ليتوجه به النبى ﷺ إلى أهل الكتاب عامة من حضر منهم المناظرة ومن لم يحضر (المناظرة بين النبى ﷺ ووفد نجران اليمن) ومن كان فى ذلك الجيل ومن يجيء بعده إلى آخر الزمان ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

بهذا ينتهى الجدل ويتبين ماذا يريد الإسلام من الناس وماذا يضع لحياتهم من أساس ويحدد معنى الدين ومعنى الإسلام وتنتفى كل صورة مشوهة أو مدخولة يدعى لها أصحابها أنها دين أو أنها إسلام. وهذا هو الهدف النهائى للدرس وللسورة كلها كذلك.

يبدأ هذا القصص ببيان من اصطفاهم الله من عباده واختارهم لحملة الرسالة الواحدة بالدين الواحد منذ بدء الخليقة فيقرر أنهم ذرية بعضها من بعض.

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (١١٧) إلى صـ (١٢١)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٣٣	٤٥	٥٣
	إلى	٤٤	٥٢	٦٤

(١) باهل بعضهم بعضًا: اجتمعوا فتداعَوْا فاستنزلوا لعنة الله على الظالم منهم.

الدرس الثالث

(المعركة بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة)

من الآية رقم (٦٥) من قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾
إلى الآية رقم (٩٢) إلى قوله تعالى : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾
(مدة حفظ الدرس) : (ثلاثة أيام)

هـذا الشوط من السـورة ما يزال يجرى مع الخط الأول الأسـاسى العريض فيهـا خط المعركة بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة (معركة العقيدة).

فيبدأ بمواجهة أهل الكتاب ـ اليهـود والنصارى ـ بسخف موقفهم وهـم يحاجّون فى إبراهيم عليه السلام فيزعم اليهود أنه كان يهوديًا !!. ويزعم النصارى أنه كان نصرانيًا !!.

على حين أن إبراهيم سابق لليهودية والنصرانية سابق للتوراة والإنجيل.

﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ يلى ذلك فى السياق كشف الهدف الأصيل الكامن وراء مماراة أهل الكتاب فى إبراهيم وغير إبراهيم فهو الرغبة الملحة فى إضلال المسلمين عن دينهـم وتشكيكهم فى عقيدتهم ومن ثم يتجه بالتقريع إلى المضلين.

﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ۝ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (٧٠/ ٧١).

ثم يطلع الجماعة المسلمة على لـون من تبييت أعدائهم وتدبيرهم لـزعزعة ثقتهم فى عقيدتهـم ودينهم، بطريقة خبيثة ماكرة لئيمة فيعلنوا إيمانهم بالإسلام أول النهار ثم يكفروا آخره.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾(٧٢). ثم يكشف عن طبيعة أهل الكتاب وأخلاقهم ونظرتهم للعهود والمواثيق على أمانة فى بعضهم لا ينكرها عليهم فأما البعض الآخر فلا أمانة له ولا عهد ولا ذمة. ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ

قَآبِمًا﴾ (آل عمران : ٧٥) .

ويمضى يعرض نموذجًا آخر من التواء أهل الكتاب وكذبهم الرخيص فى أمر الدين ابتغاء مكاسب الأرض وهى كلها ثمن قليل .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾ (آل عمران : ٧٧)

ويذكر حقيقة الصلة بين موكب الرسل المتتابعة وهى عهد الله عليهم أن يسلم السابق منهم للاحق وينصره . ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : ٨٤) .

(ومن ثم يتعين على أهل الكتاب أن يؤمنوا بالرسول الأخير وينصروه ولكنهم لا يوفون بعهد الله معهم ومع رسلهم الأولين) .

وفى ظل هذا العهد السارى يقرر أن الذى يبتغى دينا غير دين الله . . الإسلام . . يخرج فى الحقيقة على نظام الكون كله كما أراده الله . وهكذا يستعرض هذا الشوط الواحد هذا الحشد من الحقائق والتوجيهات . وهو شوط فى المعركة الضخمة التى تعرضها السورة ، دائرة الجماعة المسلمة وأعداء هذا الدين . لا تختلف فيها الأهداف والغايات . وإن اختلفت أشكال الوسائل والأدوات . . وهى هى فى خطها الطويل المديد .

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (١٢١) إلى صـ (١٢٥)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٦٥	٧٧	٧٩
	إلى	٧٦	٧٨	٩٢

الدرس الرابع

(المعركة الجدلية بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة في المدينة المنورة)

من الآية رقم (٩٣) من قوله تعالى : ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾
إلى الآية رقم (١٢٠) إلى قوله تعالى : ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾
(مدة حفظ الدرس) : (ثلاثة أيام)

في هـذا الدرس تبلغ المعركة ذروتها معركة الجدل والمناظرة مع أهل الكتاب وهذه الآيات غير داخلة في نطاق مناظرة وفد نجران .

ويبدأ هذا الدرس بتقرير : أن كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل - إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة - ويبدو أن هذا التقرير كان ردًا على اعتراض بني إسرائيل على إباحة القرآن لبعض المحرمات اليهودية من الطعام . مع أن المحرمات إنما حرمت عليهم وحدهم ، وفي صورة عقوبة على بعض مخالفاتهم .

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

- ثم يرد كذلك على اعتراضهم على تحويل القبلة فيبين لهم أن الكعبة هي بيت إبراهيم وهي أول بيت وضع للناس في الأرض للعبادة فالاعتراض عليه مستنكر ممن يدعون وراثة إبراهيم .

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾

- ويندد بأهل الكتاب لكفرهم بآيات الله ، وصدهم عن سبيل الله ، ورفضهم الاستقامة وميلهم إلى الخطة العوجاء ، ورغبتهم في سيطرتهم على الحياة ، وهم يعرفون الحق ولا يجهلونه .

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

ـ ثم يدعو أهل الكتاب جملة ، ويتجه إلى الجماعة المسلمة يحذرهم طاعة أهل الكتاب فإنها الكفر . . ولا يليق بالمسلمين الكفر ، وكتاب الله يتلى عليهم وفيهم رسوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾ ويدعو الجماعة المسلمة إلى تقوى الله ، والحرص على الإسلام حتى الوفاة ولقاء الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ .

ـ كذلك يذكرهم بنعمة الله عليهم بتأليف قلوبهم ، وتوحيد صفوفهم تحت لواء الإسلام بعدما كانوا فيه من فرقة وخصام . وهم يومئذ على شفا حفرة من النار أنقذهم منها الله بالإسلام .

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ .

ويأمرهم بأن يكونوا الأمة التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ومحافظة على تحقيق منهج الله ، مع تحذيرهم الاستماع لدسائس أهل الكتاب فيهم فيهلكوا بالفرقة كما تفرق هؤلاء فهلكوا فى الدنيا الآخرة . . وتذكر الروايات أن هذا التحذير نزل بمناسبة فتنة معينة بين الأوس والخزرج قام بها اليهود .

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

ـ ثم يعرف الله المسلمين حقيقة مكانهم فى هذه الأرض وحقيقة دورهم فى حياة البشر فدلهم بهذا على أصالة دورهم وعلى سمة مجتمعهم . ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ .

ـ يلى ذلك التهوين من شأن عدوهم فهم لن يضروهم فى دينهم ولن يظهروا عليهم ظهورًا تامًا مستقرًا . إنما هو الأذى فى جهادهم وكفاحهم . ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ .

ـ وهؤلاء الأعداء قد ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله . بسبب ما اقترفوه من الآثام والمعصية وقتل الأنبياء بغير حق . ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ...﴾ .

ـ ويستثنى من أهل الكتاب طائفة جنحت للحق . فآمنت ، واتخذت منهج المسلمين منهجًا

فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والسعى فى الخيرات ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ .

ـ ويقرر مصير الذين كفروا فلم يجنحوا للإسلام فهم مأخوذون بكفرهم، لا تنفعهم أموال ينفقونها ولا تغنى عنهم أولاد وعاقبتهم البوار. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾

ـ وينتهى الدرس بتحذير الذين آمنوا من اتخاذ بطانة من دونهم، يودون لهم العنت وتنفث أفواههم البغضاء وما تخفى صدورهم أكبر، ويعضون على الأنامل من الغيظ، ويفرحون لما ينزل بساحتهم من السوء، ويسوؤهم الخير ينال المؤمنين. . ويعدهم الله بالكلاءة والحفظ من كيد هؤلاء الأعداء ما صبروا واتقوا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ﴾

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾

ويدل هذا التوجيه الطويل، المنوع الإيحاءات، على ما كانت تعانيه الجماعة المسلمة حينذاك من كيد أهل الكتاب ودسهم فى الصف المسلم، وما كان يحدثه هذا الدس من بلبلة كما أنه يشى بحاجة الجماعة إلى التوجيه القوى، كى يتم لها التميز الكامل، والمفاصلة الحاسمة، من كافة العلاقات التى كانت تربطها بالجاهلية وبأصدقاء الجاهلية.

ثم يبقى هذا التوجيه يعمل فى أجيال هذه الأمة، ويبقى كل جيل مطالبًا بالحذر من أعداء الإسلام التقليديين وهم تختلف وسائلهم ولكنهم لا يختلفون.

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (١٢٥) إلى صـ (١٢٨)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٩٣	١٠٤	١١٣
	إلى	١٠٣	١١٢	١٢٠

الدرس الخامس

(معركة أحد)

من الآية رقم (١٢١) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾
إلى الآية رقم (١٧٩) إلى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ...﴾
(مدة حفظ الدرس): (ستة أيام)

حديث المعركة من ١٢١ ـ ١٣٦ (يومان).
أحداث المعركة من ١٣٧ ـ ١٤٧ (يوم واحد).
متابعة استعراض المعركة من ١٤٨ ـ ١٥٨ (يوم واحد).
الرسول وحقيقة النبوة من ١٥٩ ـ ١٦٤ (يوم واحد).
حقيقة الذين قتلوا فى سبيل الله من ١٦٥ ـ ١٧٥ (يوم واحد).

من معركة الجدل والمناظرة والبيان والتنوير، والتوجيه والتحذير ينتقل السياق إلى المعركة فى الميدان. . معركة أحد.

غزوة أحد لم تكن معركة فى الميدان وحده، إنما كانت معركة كذلك فى الضمير. كان النصر أولاً، وكانت الهزيمة ثانيًا وكان الانتصار الكبير فيها بعد النصر والهزيمة. . انتصار المعرفة الواضحة والرؤية المستنيرة للحقائق التى جلاها القرآن.

لقد انتهت المعركة فى ميدان الأرض، ليبدأها القرآن فى ميدانها الأكبر: ميدان النفس وميدان الحياة الشاملة للجماعة المسلمة، وضع بهذه الجماعة مما تصنعه يد الله.

ـ ثم عرج على الربا فنهى عنه، وعلى الإنفاق فى السراء والضراء فحض عليه، وعلى طاعة الله ورسوله فجعلها مناط الرحمة، وعلى كظم الغيظ والعفو عن الناس، وعلى الإحسان والتطهر من الخطيئة بالاستغفار والتوبة وعدم الإصرار، وعلى رحمة الله المتمثلة فى رحمة الله الرسول ﷺ ولين قلبه للناس، وعلى مبدأ الشورى وتقريره فى أحرج الأوقات، وعلى الأمانة التى تمنع الغلول وعلى البذل والتحذير من البخل فى نهاية ما نزل فى التعقيب

على الغزوة من آيات .

وإذن فهذه التوجيهات الشاملة ليست بمعزل عن المعركة فالنفس لا تنتصر فى المعركة الحربية إلا حين تنتصر فى المعارك الشعورية والأخلاقية والنظامية .

كذلك كان من الحقائق التى اتكأ عليها السياق من بدئه إلى نهايته حقيقة قدر الله ؛ ورد الأمر إليه جملة ثم فى النهاية إشعار الجماعة المسلمة أنه ليس لها من أمر النصر شىء إنما هو تدبير الله لتنفيذ قدره من خلال جهادها وأجرها على الله .

ولا قيمة ولا وزن فى نظر الإسلام للانتصار العسكرى أو السياسى أو الاقتصادى ما لم يقم هذا كله على أساس المنهج الربانى فى الانتصار على النفس والغلبة على الهوى والفوز على الشهوة وتقرير الحق الذى أراده الله فى حياة الناس .



تفسير آيات هذا الدرس من صـ (١٢٨) إلى صـ (١٣٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس	السادس
آيات الحفظ	من	١٢١	١٣٣	١٤٣	١٥٣	١٦٠	١٧٠
	إلى	١٣٢	١٤٢	١٥٢	١٥٩	١٦٩	١٧٩

الدرس السادس

(أفاعيل اليهود مع أنبيائهم وأقاويلهم على ربهم)

من الآية رقم (١٨٠) من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾
إلى الآية رقم (١٨٩) إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

انتهى الاستعراض القرآنى للمعركة - معركة أحد - ولكن المعركة الدائبة بين الجماعة المسلمة وأعدائها المحيطين بها فى المدينة وبخاصة اليهود لم تكن قد انتهت بعد. معركة الجدل والمراء، والتشكيك والبلبلة، والكيد والدس، والتربص والتدبير. هذه المعركة التى استغرقت الشطر الأكبر من هذه السورة. وفى هذا الدرس استعراض لبعض أفاعيل اليهود وأقاويلهم. يبدو فيه سوء الأدب مع الله - سبحانه - بعد سوء الفعل مع المسلمين. وهم يبخلون بالوفاء بتعهداتهم المالية للرسول ﷺ ثم يزيدون فيقولون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾.

ويبدو فيه التعلل الواهى، الذى يدفعون به دعوة الإسلام الموجهة إليهم، وكذب هذا التعلل ومخالفته لواقعهم التاريخى المعروف، هذا الواقع الذى ينضح بمخالفتهم لعهد الله معهم، وبكتمانهم لما أمرهم الله ببيانه من الحق، ونبذه وراء ظهورهم، وشرائهم به ثمنًا قليلاً. وبقتلهم أنبياءهم بغير حق، وقد جاءوهم بالخوارق التى طلبوها، وجاءوهم بالبينات فرفضوها.

وهذا الكشف المخجل لأفاعيل اليهود مع أنبيائهم وأقاويلهم على ربهم كان هو الأمر الذى يقتضيه سوء موقفهم من الجماعة المسلمة، وتأثير كيدهم ودسهم وإيذائهم - هم والمشركون - للمسلمين كما كانت تقتضيه تربية الله للجماعة المسلمة تربية واعية، تبصرهم بما حولهم، وبمن حولهم، وتعرفهم طبيعة الأرض التى يعملون فيها، وطبيعة العقبات والفخاخ المنصوبة لهم وطبيعة الآلام والتضحيات المرصودة فى الطريق.

وقد كان الكيد اليهودى للجماعة المسلمة فى المدينة أقسى وأخطر من عداوة المشركين لهم فى مكة. ولعله ما يزال أخطر ما يرصد للجماعات المسلمة فى كل مكان، على مدار التاريخ

ومن ثم نجد التوجيهات الربانية تتوالى على المسلمين فى ثنايا الاستعراض المثير . . . نجد توجيههم إلى حقيقة القيم الباقية والقيم الزائلة ، فالحياة فى هذه الأرض محدودة الأجل . وكل نفس ذائقة الموت على كل حال . إنما الجزاء هناك والكسب والخسارة هناك ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ .

وهم مبتلون فى أموالهم وأنفسهم ، والأذى سينالهم من أعدائهم من المشركين وأهل الكتاب فلا عاصم لهم إلا الصبر والتقوى ، والمضى مع المنهج الذى يزحزحهم عن النار !

والقرآن هو القرآن . كتاب هذه الأمة الخالد ، ودستورها الشامل وحاديها الهادى ، وقائدها الأمين ، وأعداؤها هم أعداؤها والطريق هو الطريق . .



تفسير آيات هذا الدرس من صـ (١٣٦) إلى صـ (١٣٨)

الدرس السابع

(الفريق المؤمن وجزاؤه المناسب)

من الآية رقم (١٩٠) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾
إلى الآية رقم (٢٠٠) إلى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟﴾
(مدة حفظ الدرس): (يوم واحد)

هذا هو الدرس الأخير فى السورة التى ضمت ذلك الحشد الضخم الذى استعرضناه:
- من مقومات التصور الإسلامى.
- وتقرير هذه المقومات وتجليتها من الغش واللبس فى الجدل مع أهل الكتاب.
- ثم فى الجدل مع المنافقين والمشركين.

وبيان طبيعة هذا المنهج الإلهى وتكاليفه فى الأنفس والأموال.

وتعليم الجماعة المسلمة كيف تنهض بهذه التكاليف، وكيف تستقبل الابتلاء بالسراء والضراء، وكيف تتجرد لهذه العقيدة وتكاليفها الضخمة فى الأموال والأنفس. إلى آخر ما ضمه السياق فى السورة واستعرضناه فى الجزأين الثالث والرابع من السورة.

فالآن يجىء هذا الإيقاع الأخير فى السورة - أو هذه الإيقاعات الأخيرة متناسقة فى موضوعها وفى أسلوبها مع ذلك الحشد من الإيقاعات من ناحية الموضوع ومن ناحية الأداء تجىء بحقيقة عميقة: أن هذا الكون بذاته كتاب مفتوح، يحمل بذاته دلائل الإيمان وآياته، وهذه الحقيقة تمثل أحد مقومات التصور الإسلامى عن هذا «الكون» والصلة الوثيقة بينه وبين فطرة «الإنسان» والتفاهم الداخلى الوثيق بين فطرة الكون وبين فطرة الإنسان. يلى هذه الحقيقة فى هذا الدرس استجابة الله «لأولى الألباب» وقد توجهوا إليه سبحانه بدعاء خاشع منيب، وهم يتدبرون كتاب الله المفتوح ويتأملون ما ينطق به من الآيات، وما يوحى به من الغايات.. استجابته لهم استجابة توجيه إلى العمل والجهاد والتضحية والصبر، والنهوض بتكاليف الإيمان الذين ثابوا به من جولتهم الخاشعة فى كتاب الله المفتوح.. مع التهوين من شأن الذين كفروا وما قد يستمتعون به من أعراض الحياة، وإبراز القيم الباقية فى الجزاء الأخروى التى

ينبغى أن يحفل بها المؤمنون الأبرار.

وعطفًا على الحديث الطويل فى السورة عن أهل الكتاب ومواقفهم من المؤمنين، يرد هنا فى هذا القطاع الأخير ذكر فريق المؤمنين وجزاؤه المناسب ويبرز من صفاتهم صفة الخشوع، التى تتناسق مع مشهد أولى الألباب أمام كتاب الكون المفتوح، ودعائهم الخاشع المنيب، وصفة الحياء من الله أن يشتروا بآياته ثمنًا قليلاً، كأولئك الذين كفروا من أهل الكتاب، وتقدم وصفهم فى السورة. ثم تجىء الآية الخاتمة تلخص التوجيهات الإلهية للجماعة المسلمة وتمثل خصائصها المطلوبة، وتكاليفها المحددة والتى بها يكون الفلاح:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهو ختام يناسب محور السورة الأصيل، وموضوعاتها الرئيسية ويتسق معها كل الاتساق.

❖ ❖ ❖

تفسير آيات هذا الدرس من صـ (١٣٨) إلى صـ (١٣٩)

الدرس الأول

(مواجهة لأهل الكتاب)

من الآية (١) إلى الآية (٣٢)

مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾

١ ﴿الٓمٓ﴾ قيل عن هذه الأحرف فى سورة آل عمران هى أن هذا الكتاب منزل من عند الله لا إله إلا هو الحى القيوم. ومؤلف من أحرف وكلمات شأنه شأن ما سبقه من الكتب السماوية التى يعترف بها أهل الكتاب. والله أعلم بمراده بذلك.

٢ ﴿اللَّهُ لا إله إلاَّ هُوَ الْحيُّ الْقَيُّومُ﴾ وهذا التوحيد الخالص هو مفرق الطريق بين عقيدة المسلم وسائر العقائد فلا شريك له فى الألوهية.

٣ ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أى القرآن ﴿بالْحَقِّ﴾ بالصدق وبالحجة الغالبة ﴿مُصَدِّقًا﴾ موافقا لما بين يديه من الكتب المنزلة وأنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى عليهما السلام.

٤ ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ...﴾ أى من قبل تنزيل القرآن لأجل هداية البشر جميعا ﴿وأنزل الْفُرْقَانَ﴾ أى الفارق بين الحق والباطل من أمر عيسى وغيره. وتتضمن الآية تهديدا للذين كفروا بآيات الله.

٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ ..﴾ وفيها يؤكد علم الله بكل ما فى الأرض وما فى السماء.

٦ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ﴾ أى أنه سبحانه يمنحكم الصورة التى يشاء والخصائص المميزة لها. ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذى يدبر الأمر بحكمته.

بعدئذ يكشف الذين فى قلوبهم زيغ:

٧ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ والكتاب هو القرآن منه آيات ﴿مُّحْكَمَاتٌ﴾ المحكم ما لا يحتمل إلا وجها واحدا من التفسير ﴿وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ خفيات استأثر الله بعلمها أو لا تتضح إلا بنظر دقيق. ويختلف الناس فى استقبال هذه الآيات فالذين فى ﴿قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ فيتعلقون بالمتشابه بغرض فتنة الناس. وأما ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فيقولون فى طمأنينة وثقة ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.

٨ ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا ..﴾ ومن ثم يتجه المؤمنون إلى ربهم بهذا الدعاء الخاشع طلبًا لرحمة الله التى أدركتهم ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أى رحمة كائنة من عندك عظيمة واسعة فإنك سبحانك تهب من تشاء جزيل العطاء.

٩ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ ..﴾ أى باعثهم ومجيبهم يوم القيامة الذى لا شك فى وقوعه ووقوع ما فيه من الحساب والجزاء. أى: والوفاء بالوعد شأن الإله ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

معانى الكلمات:

أُمُّ الْكِتَاب : أى أصله.

زَيْغٌ: الميل عن الحق.

أُولُوا الأَلْبَاب: أصحاب العقول.

لا تُزِغْ قُلُوبَنَا: لا تمل قلوبنا عن الحق.

وَهَبْ لنا: أعطنا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

١٠ ﴿إنّ الّذين كفروا ..﴾ لا الأولاد ولا الأموال يغنيان شيئا فى ذلك اليوم الذى لا ريب فيه. ولن تنجيهم من عذابه وأولئك هم حطب جهنم.

١١ ﴿كدأب آل فرعون والّذين من قبلهم﴾ فالذين كفروا بما جاء به محمد ﷺ معرضون لهذا المصير. وعاقبهم الله العقوبات المهلكة ﴿بذنوبهم﴾ التى من جملتها تكذيبهم.

١٢ ﴿قل للّذين كفروا ..﴾ قيل: هم اليهود. وقيل: هم مشركو مكة ﴿ستغلبون وتحشرون﴾ إن وعد الله بهزيمة الذين يكفرون ويكذبون وينحرفون عن منهج الله قائم فى كل لحظة.

أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿قل للّذين كفروا ستغلبون﴾ نزلت فى يهود المدينة لما أرادوا أن يؤمنوا بالرسول ﷺ بعد هزيمة المشركين يوم بدر فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله ﷺ شكوا. وغلب عليهم الشقاء ونقضوا العهد الذى بينهم وبين الرسول.

١٣ ﴿قد كان لكم آية ..﴾ يا معشر اليهود قد كان لكم علامة عظيمة دالة على صدق ما أقول لكم (والخطاب لليهود ليحذروا يوما يصيبهم به من الله مثل ما أصاب أهل مكة فى بدر) والمراد بالفئتين: المسلمون والمشركون يوم التقوا يوم بدر فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة، فقلل الله المشركين فى أعين المسلمين فأراهم إياهم مثلي عدتهم لتقوى أنفسهم ﴿يرونهم مثليهم رأي العين﴾ أى: رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾ فليس على الفئة المؤمنة إلا أن تطمئن إلى هذه الحقيقة.

١٤ ﴿زين للنّاس حبّ الشهوات ..﴾ وهنا تذكر الآية نموذجا لشهوات النفوس يمثل شهوات البيئة التى كانت مخاطبة بهذا القرآن ﴿من النساء والبنين والقناطير المقنطرة﴾ وقرن بعد ذلك ﴿والخيل المسوّمة﴾ وأيضًا ﴿والأنعام والحرث﴾ وكل ذلك المذكور ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ لا الحياة الرفيعة ولا الآفاق العالية. ومن أراد من الله ما هو خير فعند الله ما فيه عوض عن تلك الشهوات.

١٥ ﴿قل أؤنبّئكم بخير من ذلكم ..﴾ إن المتاع الأخروى فيه عوض كامل عن متاع الدنيا. وفيه زيادة وهناك ما هو أكبر ﴿ورضوان من الله﴾.

معانى الكلمات:

كدأب آل فرعون: كعادتهم وسننهم فى كفرهم.

قد كان لكم آية: علامة واضحة.

في فئتين: المسلمون ومشركو قريش.

لعبرة: عظة.

والخيل المسوّمة: ذات السمات الحسان والمعدة للركوب عليها.

والأنعام: الإبل والبقر والغنم وهى الماشية.

قل أؤنبئكم: أخبركم.

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

١٦ ﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنا ..﴾ وفي دعائهم ما ينم عن تقواهم فهو إعلان للإيمان.

١٧ ﴿الصابرين والصادقين والقانتين ..﴾ وفي كل صفة من صفاتهم تتحقق سمة ذات قيمة في حياة الإنسان ففي الصبر: ترفع عن الألم. وفي الصدق: اعتزاز بالحق. وفي القنوت: أداء لحق الألوهية وواجب العبودية. وفي الإنفاق: تحرر من استذلال المال. وفي الاستغفار: السائلون المغفرة. هؤلاء لهم رضوان من الله.

١٨ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو ..﴾ يخبر الجبار عز وجل أنه شهد أنه لا إله إلا هو وأن الملائكة وأولي العلم يشهدون كذلك شهادة علم وحق، وأنه تعالى قائم في الملكوت كله بالعدل. العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره.

١٩ ﴿إن الدين عند الله الإسلام ..﴾ الإسلام أي الاستسلام والطاعة والاتباع ولقد اختلف ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ اعتداء وظلما حينما تخلوا عن قسط الله وعدله. ومن ثم يجيء التهديد ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾.

٢٠ ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ..﴾ وإسلام الوجه بمعنى الاستسلام، وليسأل أهل الكتاب والأميين سؤال التبيين والتمييز ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم﴾ فهم سواء هؤلاء وهؤلاء. ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾ والهدى يتمثل في صورة الإسلام ﴿وإن تولوا﴾ وبعد البلاغ تنتهي تبعة الرسول وينتهي عمله ﴿والله بصير بالعباد﴾ يتصرف في أمرهم وفق بصره وعلمه.

٢١ ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ..﴾ ويبين الله للذين كفروا مصيرهم الذي ينتظرهم ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾.

٢٢ ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم ..﴾ فهذا المصير المحتوم عذاب أليم.

معاني الكلمات:

شهد: أخبر عن علم.

بالقسط: العدل.

أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى.

والأميين: العرب المشركون.

حبطت أعمالهم: بطلت وذهبت.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)

٢٣ ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ..﴾ هؤلاء هم أحبار اليهود أعطوا حظا وقسطا من التوراة. أى ألم تر يا رسولنا... ألم ينته إلى علمك أمرهم حيث يدعون إلى التحاكم إلى كتاب الله تعالى فيما أنكروه... ثم يتولى عدد منهم... إنها حال تدعو إلى التعجب حقا.

سبب النزول: عندما دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام فقال له النعمان بن أوفى: هلم يا محمد نخاصمك إلى الأحبار، فقال لهم بل إلى كتاب الله فقالوا بل إلى الأحبار. (فأنزل الله الآية).

٢٤ ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار﴾ إنهم لا يقولون إلا افتراء ثم يغرهم هذا الافتراء، وهذه الأيام المعدودات. قيل هى مقدار عبادتهم للعجل. (ومثل هؤلاء من يزعمون أنهم اليوم مسلمون ثم يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون ويعرضون).

٢٥ ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ..﴾ كيف؟ إنه التهديد الرهيب يجمعهم ليجرى العدل مجراه ﴿ووفيت كل نفس ما كسبت﴾ بلا ظلم ولا محاباة.

بعدئذ يلقن الرسول ﷺ وكل مؤمن أن يتجه إلى الله:

٢٦ ﴿قل اللهم مالك الملك ..﴾ هو سبحانه يملك من يشاء ما يشاء من ملكه. ويعز من يشاء ويذل من يشاء بلا معقب على حكمه ولا يجبر عليه يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بالقسط والعدل... ويعز من يشاء ويذل من يشاء بالقسط والعدل ﴿بيدك الخير﴾ لا بيد غيرك ﴿إنك على كل شيء قدير﴾.

٢٧ ﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ..﴾ ففى حركة الأفلاك لا يدعى الإنسان أنه هو الذى يمسك بخيوطها الدقيقة. يولج الليل فى النهار فلا يبقى ليل ويولج النهار فى الليل فلا يبقى نهار. أى تأخذ من طول هذا فتزيده فى قصر هذا فيعتدلان ثم تأخذ من هذا فى هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان... ﴿وتخرج الحي من الميت﴾ أى تخرج الزرع من الحب، والحب من الزرع ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾.

٢٨ ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء ...﴾ أى يحبونهم، ويلاطفونهم، ويميلون بقلوبهم إلى مناصرتهم ومن يفعل ذلك فقد برئ الله منه ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أى ذاته المقدسة.

٢٩ ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم ..﴾ من حب أو بغض، من رضى أو سخط فلا تنطقوا به، ولا تظهروه بحال من الأحوال... فإنه تعالى يعلمه ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض.

معانى الكلمات:

نصيبا من الكتاب: أعطوا حظا وقسطا من التوراة.

يدعون إلى كتاب الله: يطلب إليهم التحاكم إلى كتابهم.

يتولى: يرجع ويصمم على عدم العودة.

أياما معدودات: الأيام الأربعين التى عبدوا فيها العجل.

تولج: تدخل.

فليس من الله في شيء: أى أن الله تعالى برىء منه.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

٣٠ ﴿يوم تجدُ كُلُّ نفسٍ مَّا عملتْ ..﴾ وهنا يذكر الله ـ تعالى ـ عباده بيوم القيامة ليقصروا عن الشر. أى اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت حاضرا أمامها ويسوءها مرآه فتود بكل قلبها لو أن بينها وبينه غاية من المسافة لا تدرك. وتنتهى الآية بالتحذير الشديد المقترن بالرأفة منه سبحانه بعباده لطفا بهم ﴿ويحذركُمُ اللَّهُ نفسَهُ﴾ ﴿والله رءوفٌ بالعباد﴾.

٣١ ﴿قُلْ إن كُنتُم تُحبُّون الله فاتَّبعُوني ..﴾ أى اتبعونى على ما جئت به من التوحيد والعبادة يحببكم الله تعالى.. وبهذا أبطل دعوى النصارى فى أنهم ما ألهوا المسيح عليه السلام إلا طلبا لحب الله. وأرشدهم إلى أمثل طريقة هو متابعة الرسول على ما جاء به من الإيمان.

سبب النزول: زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله فقالوا يا محمد إنا نحب ربنا. فأنزل الله تعالى الآية.

٣٢ ﴿قُل أطيعُوا الله والرَّسُول ..﴾ أمر الله تعالى رسوله أن يأمر وفد نصارى نجران وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين بطاعته وطاعة رسوله. فإن أبوا وأعرضوا فقد باءوا بغضب الله وسخطه عليهم.

الدرس الثانى
(قصة عيسى عليه السلام)
من الآية (٣٣) إلى الآية (٦٤)
مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)

٣٣ ﴿إنَّ اللَّه اصْطفَى آدم ..﴾ اصطفاهم لدينه واختارهم لعبادته ففضلهم بذلك على الناس. وأخبر أنهم ذرية بعضهم من بعض لم تختلف عقائدهم لحفظ الله وعنايته بهم.

٣٤ ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بعْضٍ ..﴾ بعضهم من بعض فى النية والعمل والإخلاص والتوحيد.

٣٥ ﴿إذْ قالت امْرأتُ عمْرانَ ..﴾ وهذه اختتمت بقوله تعالى ﴿إنَّك أنت السَّميعُ العليمُ﴾ أى سميع لقول امرأة عمران.. عليم بحالها.

٣٦ ﴿فلمَّا وضعتْها قالتْ ..﴾ والله يعلم أنها أنثى وكيف لا يعلم وهو الخلاق العليم. وأسمتها مريم أى خادمة الله وسألته سبحانه أن يحفظها وذريتها من الشيطان الرجيم.

٣٧ ﴿فتقبَّلها ربُّها بِقبُولٍ حسنٍ ..﴾ فأنبتها نباتا حسنا فكانت تنمو نماء عجيبا على خلاف المواليد وكفلها زكريا أى تربت فى بيت خالتها. وكان يأتيها بطعامها فيجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فيعجب ويسألها من أين؟ فتجيبه: ﴿هُو منْ عند اللَّه﴾ وتعلل ذلك ﴿إنَّ اللَّه يرْزُقُ من يشاءُ بغيْر حساب﴾.

معانى الكلمات:

أَمَدًا بعيدًا: مدى وغاية بعيدة.

فَإن تولَّوْا: أعرضوا عن الإيمان والطاعة.

اصْطفَى: اختار.

امْرأتُ عمْرانَ: حنّة.

أُعيذُها بك: أحصنها.

أنَّى لكِ هذا: من أين لك هذا.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

٣٨ ﴿هُنالكَ دعَا زَكريّا ربَّهُ ..﴾ ها هو زكريا الشيخ الكبير وزوجه العاقر التى لم تلد فى صباها.. ها هو تجيش فى قلبه الرغبة الفطرية فى الخلف... فما الذى كان من هذا الدعاء الخاشع الحار؟ كانت الاستجابة.

٣٩ ﴿فنَادتْهُ المَلائكةُ ..﴾ هذه الاستجابة التى تفعل ما تريد. لقد استجيبت الدعوة المنطلقة من القلب الطاهر.. وهذه الاستجابة كانت مفاجأة لزكريا نفسه اشتاق أن يعرف من ربه كيف تقع الخارقة:

٤٠ ﴿قَالَ ربّ أنّىٰ يكُونُ لي غُلامٌ ..﴾ وجاءه الجواب... كذلك، فالأمر مألوف مكرور، معاد حين يرد إلى مشيئة الله وفعله.

ولكن زكريا يطلب إلى ربه أن يجعل له علامة يسكن إليها.

٤١ ﴿قَالَ ربّ اجْعَل لّي آيةً ..﴾ وهنا يوجهه ربه إلى طريقة الاطمئنان الحقيقى فيخرجه من مألوف فى ذات نفسه ﴿قالَ آيتُكَ ألاَّ تُكلّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ إلاَّ رمْزًا﴾ اللسان هو اللسان ولكنه يحتبس عند كلام الناس. ﴿واذْكُر رَّبّكَ﴾ ولكن ينطلق اللسان لمناجاة ربه. أى قانون يحكم هذه الظاهرة؟ إنه قانون الطلاقة الكاملة للمشيئة العلوية. كذلك رزق بيحيى وقد بلغه الكبر وامرأته عاقر!!

وكأنما هذه الخارقة تمهيد - فى السياق - الحادث عيسى وتبدأ قصته:

٤٢ ﴿وإذْ قالت المَلائكةُ يا مريَمُ ..﴾ وأى اصطفاء؟ وهو يختارها لتلقى النفخة المباشرة، كما تلقاها أول الخليقة (آدم). ﴿وطَهّركِ﴾ وهى إشارة ذات مغزى وذلك لما لابس مولد عيسى - عليه السلام - من شبهات.

٤٣ ﴿يا مريَمُ اقْنُتي لربّكِ واسْجُدي واركَعي مع الرّاكعين﴾ طاعة وعبادة وخشوع وركوع وحياة موصولة بالله تمهيدا للأمر العظيم الخطير...

وهنا يشير السياق إلى شىء من حكمة مساق القصص. أنه إثبات الوحى:

٤٤ ﴿ذلكَ منْ أنباءِ الغيْبِ نُوحيهِ إليْكَ ..﴾ هذه من الأمور التى كنت غائبا عنها يا محمد ولم تكن بحضرتهم يعنى المتنازعين فى تربية مريم بل الله أوحى إليك بخبرهم.

والآن نجىء إلى مولد عيسى: العجيبة الكبرى فى عرف الناس والشأن العادى للمشيئة المطلقة.

٤٥ ﴿إذْ قالت المَلائكةُ يا مريَمُ ..﴾ لقد تأهلت مريم إذن بالتطهر والقنوت والعبادة والبشارة تضمنت نوعه واسمه ونسبه وظهر من هذا النسب أن مرجعه إلى أمه ﴿وجيهًا في الدُّنْيا﴾ وهى النبوة ووجاهته فى الآخرة الشفاعة وعلو الهمة ﴿ومنَ المُقرّبين﴾ إلى الله.

معانى الكلمات:

هَبْ لي: أعطنى.

من لَّدُنكَ: من عندك.

وسَيّدًا وحَصُورًا: شريفا ذا علم وحلم ولا رغبة له فى النساء.

وامْرأتي عاقرٌ: عقيم لا تلد.

والإبْكار: أول النهار، والعشى آخره.

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ
وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

٤٦ ﴿ويكلم الناس ..﴾ أى يكلم الناس رضيعا فى المهد وحال كونه شيخا بالوحى والرسالة. ومن العباد الصالحين (فتضمنت البشرى: ولادته وكلامه فى المهد وبلوغه سن الكهولة، وكونه من صالحى عباد الله وكونه ذا وجاهة وكونه من العلماء وكونه نبيا).

٤٧ ﴿قالت رب أنى يكون لي ولد ..﴾ أى كيف يكون لى ولد ولم يغشنى بشر بجماع؟ فأجابها جبريل قائلا: الأمر هكذا سيخلق الله تعالى منك ولدا من غير أب وهو سبحانه يخلق ما يشاء.

٤٨ ويعلمه الكتاب والحكمة ..﴾ الكتاب: الكتابة والحكمة: العلم وقوة الفهم وحسن التدبير للأمور فى وضعها في نصابها.

٤٩ ﴿ورسولا إلى بني إسرائيل ..﴾ أرسله برسالة مضمونها: أنه عبد الله ورسوله وليس ابن الله ولا بإله مع الله فأخبر تعالى أنه خلقه بكلمة (كن) ويعلمه الكتاب والحكمة... وقد فعل، وأنه يبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل وقد فعل.

٥٠ ﴿ومصدقا لما بين يدي ..﴾ أى جئتكم مصدقا لما قبلى ﴿ولأحل﴾ بعض الذى حرم الله عليكم من الأطعمة... كما شدد الله فيه عليهم لتشديدهم... ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ ادخلوا فى دينى.

٥١ ﴿إن الله ربي وربكم ..﴾ أعلنها صريحة أنه ليس ربا لهم، كما ادعاه النصارى من بعد غلوا فيه بل قال: إنه عبد الله، كما أنهم هم أيضا عبيد الله فكيف يتخذون عيسى إلهًا؟

٥٢ ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ أى أنه لما علم عيسى بكفر قومه وهمهم بقتله غيلة: استصرخ المؤمنين قائلا ﴿من أنصاري إلى الله﴾ فأجابه الحواريون وهم أصفياؤه وأحباؤه قائلين ﴿نحن أنصار الله﴾ آمنا بالله واشهد لنا يوم القيامة بأنا مخلصون فى إيماننا منقادون لما تريد منا.

٥٣ ﴿ربنا آمنا بما أنزلت ..﴾ أى يوفقهم ويعينهم فى أن يجعلوا من أنفسهم صورة حية لهذا الدين.

ويمضى السياق إلى خاتمة القصة:

٥٤ ﴿ومكروا ومكر الله..﴾ أى الذين أحس عيسى منهم الكفر. وهم كفار بنى إسرائيل (ومكر الله) قيل مكر الله هنا إلقاء شبه عيسى على واحد من الحواريين ورفع عيسى إلى السماء (فجاء الجنود فأخذوا الذى ألقى عليه شبه عيسى فقتلوه وصلبوه، وظنوا أنهم قتلوا وصلبوا عيسى) والله خير الماكرين أى أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا. فأين هم من الله؟ وأين مكرهم من تدبير الله؟.

٥٥ ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ..﴾ قابضك ﴿ورافعك إلي﴾ فى السماء فأكون عاصمك من أن يقتلك الكفار ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾ وقيل: معنى الآية: أن

معانى الكلمات:

في المهد: المهد مضجع الصبى وهو رضيع.

كهيئة الطير: كصورة الطير.

لما بين يدي: من قبلى.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

النصارى الذين هم أتباع عيسى لن يزالوا ظاهرين على باقى بنى إسرائيل، وهم اليهود وظهورهم عليهم إنما هو بالقوة والعزة والغلبة. والله أعلم.

٥٦ ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم ..﴾ فى الدنيا بالقتل والذلة والمسكنة وفى الآخرة بعذاب النار. وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذابنا.

٥٧ ﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ..﴾ فيوفيهم أجور إيمانهم وصالح أعمالهم فى الدنيا نصرا وتمكينا وفى الآخرة جنات ونعيم.

٥٨ ﴿ذلك نتلوه عليك ..﴾ والمشتمل على الحكم أو المحكم الذى لا خلل فيه وهو القرآن الكريم.

٥٩ ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ..﴾ فى كونه مخلوقا من غير أب كآدم، بل أمر آدم أغرب، فإنه كما لا أب له لا أم له لأن الله ﴿خلقه من تراب﴾ فكيف تتخذون عيسى إلها؟ وأنتم تقرون أن آدم بشر مخلوق.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ..﴾ قال المفسرون: إن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا؟ قال: (وما أقول؟) قالوا: تقول إنه من غير أب؟ فإن كنت صادقا فأرنا مثله (فأنزل الله الآية).

٦٠ ﴿الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ والخطاب لكل سامع أى لا يكن أحدكم ممتريا أو للرسول ﷺ والنهى له لزيادة التثبيت.

٦١ ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ..﴾ والخطاب لمحمد ﷺ أى حاجك فى عيسى مدعيا أنه إله. وقد حاججه نصارى نجران وادعوا هذه الدعوى فدعاهم إلى المباهلة أى ليدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى الاجتهاد فى الدعاء (المباهلة) باللعن وغيره ونقول فى دعائنا جميعا: اللهم اجعل لعنتك على الكاذب منا ومنكم.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ جاء راهبا نجران إلى النبى ﷺ وقال لهما (أسلما تسلما) فقالا: قد أسلمنا قبلك. فقال: (كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث: سجودكما للصليب وقولكما اتخذ الله ولدًا وشربكما الخمر فقالا: ما تقول فى عيسى فسكت النبى ﷺ ونزل القرآن [أخرجه أحمد فى مسنده (١٣٧٤)] ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ إلى قوله: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ الآية. فدعاهما رسول الله ﷺ إلى الملاعنة وجاء بالحسن والحسين وفاطمة وأهله وولده عليهم السلام، قال فلما خرجا من عنده قال أحدهما لصاحبه: أقرر بالجزية ولا نلاعنه. فأقر بالجزية. قال: فرجعا فقالا: نقر بالجزية ولا نلاعنك فأقرا بالجزية.

معاني الكلمات:

ومكروا: دبروا القتل للمسيح عليه السلام.

ومكر الله: دبر تعالى لإنجائه وخيبهم فيما عزموا عليه.

متوفيك: متمم لك ما كتبت لك من أيام بقائك مع قوتك.

ورافعك إلى: إلى جوارى فى الملكوت الأعلى.

الممترين: الشاكين.

فمن حاجك: جادلك بالحجج.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢ ﴿إنَّ هذا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ ..﴾ أى الذى قصه الله على رسوله من نبأ عيسى هى القصة المطابقة للواقع لولادة عيسى عليه السلام ونشأته وما كان يقوله ويدعو إليه، لا ما يبالغ فيه النصارى.

٦٣ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أى إن أعرضوا عن هذا الحق البين فهذا هو الفساد فى الأرض بعينه والله عليم بالمفسدين، وليؤاخذنهم بفعلهم.

٦٤ ﴿قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ ..﴾ تعالوا نقر بكلمة موجودة فيما أنزل إلينا وفيما أنزل إليكم من الوحى ولا نتخذ شيئا من المخلوقات إلها مع الله الخالق سبحانه وتعالى. وإنها لدعوة منصفة... دعوة إلى عبادة الله وحده لا يشركون به شيئا ولا يتخذ بعضهم بعضا من دون الله أربابا لا نبيا ولا رسولاً فكلهم لله عبيد ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وهذه المقابلة تقرر بوضوح حاسم من هم المسلمون.

الدرس الثالث
(المعركة بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة)
من الآية (٦٥) إلى الآية (٩٢)
مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)

٦٥ ﴿يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحاجُّونَ فِي إبْراهِيمَ ..﴾ إن إبراهيم سابق للتوراة وسابق على الإنجيل فكيف يكون يهوديا؟ أو كيف يكون نصرانيا؟

٦٦ ﴿ها أنتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُم بِهِ عِلْمٌ ..﴾ ويمضى السياق ههنا فى التنديد بهم. وما لكم به علم فى شأن دينكم وكتابكم فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم فى شأن إبراهيم.

٦٧ ﴿ما كانَ إبْراهِيمُ يَهُودِيًّا ولا نَصْرانِيًّا ..﴾ وإنما كان حنيفًا موحدًا مطيعًا لربه مسلمًا له ولم يكن من المشركين.

٦٨ ﴿إنَّ أوْلَى النّاسِ بِإبْراهِيمَ ..﴾ هؤلاء هم الذين اتبعوه على ملة التوحيد وعبادة الله تعالى بما شرع وهذا النبى الكريم ﷺ والذين آمنوا معه.

٦٩ ﴿ودَّت طائِفَةٌ مِنْ أهْلِ الكِتابِ ..﴾ هذه الطائفة تمنت لو توقعكم فى الضلال لتهلكوا إنما يهلكون أنفسهم وما يدرون ذلك ولا يعلمون به.

٧٠ ﴿يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ ..﴾ أى لم تجحدون الآيات التى بها نعت الرسول وصفته فى التوراة والإنجيل. والحال أنكم تشهدون أنها صفات الرسول ومنطبقة عليه.

معانى الكلمات:

ثُمَّ نَبْتَهِلْ: نلتعن أى نلعن الكاذب منا. القَصَصُ الحَقُّ: ما قصه الله.

كَلِمَةٍ سَواءٍ: هى العادلة.

فَإن تَوَلَّوْا: أعرضوا.

حَنِيفًا مُسْلِمًا: مائلا عن الملل الباطلة إلى ملة الحق وهى الإسلام.

وَدَّتْ: أحبت.

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

٧١ ﴿يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ..﴾ يناديهم هنا سبحانه وتعالى ليفضح ما يقومون به من لبس الحق بالباطل لإخفائه وكتمانه وتضييعه فى غمار الباطل.

وهنا يعرض بعض المحاولات لبلبلة الجماعة المسلمة فى دينها:

٧٢ ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ..﴾ هم رؤساؤهم وأشرافهم، قالوا للسفلة من قومهم ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ أى أوله وهو الصباح (وآخره) وهو المساء ولا تصدقوا إلا من كان على ملتكم. وهى طريقة ماكرة لئيمة لأن ذلك يوقع بعضًا من ضعاف النفوس والعقول فى بلبلة واضطراب.

سبب النزول: قال الحسن والسدى: تواطأ إثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا فى آخر النهار وقولوا إنا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه فى دينه (فنزلت الآية).

٧٣ ﴿ولا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تبع دينكُم ..﴾ وهنا يوجه الله نبيه ﷺ أن يجعل الهدى هو هدى الله وذلك للرد على مقولتهم آمنوا أول النهار واكفروا آخره.

٧٤ ﴿يختصُّ برحْمته من يشاءُ ..﴾ فإذا سمع المسلمون هذا أحسوا مدى النعمة وقيمة المنة فى اختيار الله لهم واختصاصه إياهم بالفضل.

٧٥ ﴿ومنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إن تأمنْهُ بِقنطار ..﴾ لو تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم كذلك خونة طامعين مماطلين. ويقولون ﴿ليس علينا في الأُميين سبيل﴾ أى لا حرج علينا ولا إثم فى أكل أموال العرب لأنهم مشركون!!!

٧٦ ﴿بلى منْ أوفى بعهْده واتّقى ..﴾ لا إثم ولا حرج ولا مؤاخذة على من أوفى بعهد الله تعالى فآمن برسوله وبما جاء به.

٧٧ ﴿إنّ الّذين يشْترُون بعهْد الله ..﴾ هؤلاء الذين يشترون بعهد الله ثمنا قليلا لا حظ ولا نصيب لهم فى نعيم الدار الآخرة، ولا يكلمهم تشريفا لهم وإكراما ولا يزكيهم بالثناء عليهم ولهم عذاب مؤلم فى دار الشقاء والعذاب دائم مقيم.

معانى الكلمات:

تلْبسُون الْحقّ بالْباطل: خلطه.

الأُمّيين: العرب المشركون.

لا خلاق لهُمْ: لا حظ ولا نصيب.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)

٧٨ ﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم ...﴾ يلوون ألسنتهم بها أى فى تأويلها واستخراج مدلولات منها هى لا تدل عليها بتغيرها وتحريفها ـ ليوهموا الدهماء أن هذه المدلولات المبتدعة هى من كتاب الله.

٧٩ ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله ..﴾ ما زال السياق فى الرد على أهل الكتاب وهم الذين يؤلهون المسيح عليه السلام. فيقول سبحانه: ليس من شأن أى إنسان أن يدعو الناس لعبادة نفسه. إن هذا ما كان ولن يكون أبدا. ولكن من أوتى مثل هذا الكمال يقول للناس: كونوا ربانيين تصلحون الناس وتهدونهم إلى ربهم.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله﴾ قال الضحاك ومقاتل نزلت فى نصارى نجران عبدوا عيسى وقوله (لبشر) يعنى عيسى ﴿أن يؤتيه الله الكتاب﴾ يعنى الإنجيل. وقال ابن عباس فى رواية: إن أبا رافع اليهودى والرئيس من نصارى نجران قالا يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا؟ فقال رسول الله ﷺ (معاذ الله أن يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله. ما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى) فنزلت الآية.

٨٠ ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة ..﴾ فهو لا يأمر الناس بعبادة غير ربه تعالى سواء كان ذلك الغير ملكا مكرما أو نبيا مرسلا. ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾.

٨١ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ..﴾ لقد أخذ الله موثقا رهيبا جليلا كان هو شاهده وأشهد عليه، والتعبير يطوى الأزمنة ويجمع الرسل كلهم فى مشهد والله الجليل يخاطبهم جملة: ﴿قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ وهم يجيبون: ﴿قالوا أقررنا﴾ فيشهد الجليل على هذا الميثاق ويشهدهم عليه.

٨٢ ﴿فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ والذين يتخلفون هم فسقة عن تعليم أنبيائهم، فسقة عن عهد الله.

٨٣ ﴿أفغير دين الله يبغون ..﴾ هنا يوبخهم الله تعالى أفغير دين الله ـ يريد الإسلام ـ يبغون: أى يطلبون ولله أسلم أى انقاد وخضع من فى السموات من الملائكة، والأرض من سائر المخلوقات الأرضية طائعين أو مكرهين فيحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم.

معانى الكلمات:

يلوون ألسنتهم: يحرفون ألسنتهم بالكلام.

ميثاق النبيين: العهد المؤكد باليمين.

إصري: عهدى وميثاقى.

وله أسلم: انقاد وخضع.

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

٨٤ ﴿قل آمنا بالله ..﴾ هذا هو الإسلام في سعته وشموله لكل الرسالات قبله وفي ولائه لكافة الرسل جملته وفي توحيده لدين الله كله. ثم التعقيب على هذا الإيمان:

٨٥ ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا ..﴾ إن الله تعالى يقرر أن كل دين غير الإسلام باطل ومن يطلب دينا غير الإسلام لن يقبل منه بحال ويخسر في الآخرة خسرانا كبيرا.

٨٦ ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم ..﴾ إن الله تعالى لا يهدي من أسرف في الظلم وتجاوز الحد فيه ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ .

سبب نزول قوله تعالى: ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم﴾ عن ابن عباس أن رجلا من الأنصار ارتد فلحق بالمشركين فأنزل الله تعالى ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إلا الذين تابوا﴾ فبعث بها قومه إليه فلما قرئت عليه قال: والله ما كذبني قومي على رسول الله ﷺ ولا كذب رسول الله على الله، والله عز وجل أصدق الثلاثة فرجع تائبا فقبل منه رسول الله ﷺ وتركه.

٨٧ ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله ..﴾ هؤلاء المرتدون عليهم ﴿لعنة الله﴾ الإبعاد والطرد من رحمته.

٨٨ ﴿خالدين فيها ..﴾ هم في النار لا يؤخرون ولا يمهلون.

٨٩ ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ ولأن الله تعالى يحب توبة عباده ويقبلها منهم قال تعالى فاتحا باب رحمته لعباده مهما كانت ذنوبهم فلا يغلقه في وجه ضال يريد أن يتوب.

٩٠ ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ..﴾ أي من بعد الارتداد ﴿وأصلحوا﴾ أي بالإسلام ما كان قد أفسدوه من دينهم بالردة. وتقبل توبة المرتد إذا رجع إلى الإسلام مخلصا.

٩١ ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ..﴾ وذلك بإقامتهم على كفرهم وازدياد كيدهم للإسلام وأهله وقيل: هي في اليهود كفروا بعيسى فلما جاءهم محمد ﷺ كفروا به.

معاني الكلمات:

وجاءهم البينات: الحجج.

لعنة الله: طرد الله لهم من كل خير.

ولا هم ينظرون: ولا هم يمهلون.

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

٩٢ ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ..﴾ وعلى هذا الدرب سار الكثيرون منهم يلبون توجيه ربهم الذى هداهم إلى البر كله، يوم هداهم إلى الإسلام ويتحررون بهذه التلبية من استرقاق المال ومن شح النفس ومن حب الذات.

الدرس الرابع
المعركة الجدلية بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة
من الآية (٩٣) إلى الآية (١٢٠)
مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)

٩٣ ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل ..﴾ قيل حرم يعقوب على نفسه لحوم الإبل وألبانها، وقيل: حرم كل لحم فيه عرق وكانت كل هذه المطعومات حلالا من قبل أن تنزل التوراة. إذ التوراة نزلت على موسى بعد إبراهيم ويعقوب بقرون عدة فكيف تدعون أن إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل ولا يشرب ألبانها، فأتوا بالتوراة فاقرأوها فسوف تجدون أن ما حرم الله تعالى على اليهود إنما كان لظلمهم واعتدائهم.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل﴾ : قال أبو روق الكلبى نزلت حين قال النبى ﷺ إنه على ملة إبراهيم (فقالت اليهود كل شىء أصبحنا اليوم نحرمه فإنه كان على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا. فأنزل الله عز وجل تكذيبهم ﴿كل الطعام﴾ . ويتحداهم الله أن يرجعوا إلى التوراة وأن يأتوا بها ليقرأوها وهى أسباب خاصة وليست عامة ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ ثم يهدد من يفترى الكذب منهم على الله.

٩٤ ﴿فمن افترى على الله الكذب﴾ أى من بعد إحضار التوراة وتلاوتها، أو من بعد التحدى لهم بما فيه كتابهم ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ وهنا يرد الله كيدهم.

٩٥ ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا ..﴾ أى ملة الإسلام التى أنا عليها ما دام صدق ما جئتكم به قد تبين لكم بكل جلاء.

٩٦ ﴿إن أول بيت وضع للناس﴾ وهذا للرد على اليهود الذين قالوا إن بيت المقدس هو أول قبلة.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ قال مجاهد: تفاخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء وفى الأرض المقدسة، وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل (فأنزل الله الآية).

٩٧ ﴿فيه آيات بينات﴾ من هذه الآيات البينات الصفا والمروة والمشاعر كلها. ومنها هلاك من يقصده من الجبابرة وغير ذلك ومنها ﴿مقام إبراهيم﴾ وهو الصخرة التى كان يقوم عليها وهو يبنى البيت ومنها أن ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ . ولكن الله جعل فى قلوبهم حرمة الحرم وقدسيته ووجوب أمن كل من دخله. ومن ارتكب الجريمة فى الحرم يؤخذ بها وتقام عليه العقوبة، وحج البيت من استطاع الزاد والراحلة ومن كفر فإن الله تعالى غنى عنه.

٩٨ ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون ..﴾ لم تكفرون بحجج الله تعالى وبراهينه المثبتة لنبوة نبيه محمد ﷺ ودينه الإسلام والله مطلع على كفركم عليم به.

٩٩ ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله ..﴾ وهنا تلقين الرسول ﷺ أن يتجه إلى أهل الكتاب بالتنديد

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

والتهديد على موقفهم من الحق الذى يعلمونه ثم يصدون عنه.

وحين يصل السياق إلى هذا الحد ينهى الجدل مع بنى إسرائيل:

١٠٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ..﴾ فيحذرهم الله سبحانه وتعالى من اتباع غيرها وإلا فسيعيدونها إلى الكفر لا مناص. وأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة.

١٠١ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ..﴾ فتاتلوها واستمسكوا بها تعرفوا ما يريد بكم اليهود ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ ارجعوا إليه ليبطل كيد هؤلاء وفى ذلك عصمة من دسائسهم وفتنهم.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ...﴾ عن ابن عباس قال: كان بين الأوس والخزرج شر فى الجاهلية فذكروا ما بينهم، فثار بعضهم إلى بعض بالسيوف، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له، فذهب إليهم (فنزلت الآية).

١٠٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ اتقوا الله حق تقاته أى التقوى التى تحق له، ذكر المفسرون أنها لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله: من يقوى على هذا؟ وشق عليهم ذلك، فنزل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فنسخت هذه الآية. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ألا تكونوا على حال سوى حال الإسلام.

١٠٣ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ..﴾ أى يجتمعون على التمسك بدين الإسلام أو بالقرآن ونهاهم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف فى الدين فيقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا، فأصبحوا بسبب هذه النعمة إخوانا وأنقذهم من ﴿شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾.

١٠٤ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ..﴾ أى قائمون بواجب الدعوة، وقيل المراد: كونوا كلكم أمة تدعون وتأمرون وتنهون.

١٠٥ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ..﴾ وهم اليهود والنصارى نهاهم الله أن يكونوا فرقا. وقيل الذين تفرقوا هم مبتدعة هذه الأمة.

١٠٦ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ..﴾ وذلك حين يبعثون من قبورهم وتكون وجوه المؤمنين مبيضة ووجوه الكافرين مسودة ويقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

١٠٧ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ..﴾ هم فى جنة الله ودار كرامته.

١٠٨ ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أى متلبسة بالحق وهو العدل ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ بتعذيبهم إلا وهم مستحقون.

معانى الكلمات:

حِلًّا: الحلال.

افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ: اختلقه وزوره.

بِبَكَّةَ: مكة.

تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ: تصرفون الناس.

تَبْغُونَهَا عِوَجًا: تطلبون لها العوج.

يَرُدُّوكُم: يرجعوكم.

وَاعْتَصِمُوا: تمسكوا بشدة.

بِحَبْلِ اللَّهِ: كتابه القرآن ودينه الإسلام.

شَفَا حُفْرَةٍ: حافتها.

وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

١٠٩ ﴿ولله ما في السّموات وما في الأرض ..﴾أى له ذلك يتصرف به كيف يشاء وعلى ما يريد ولغناه عن الظلم لكون ما فى السموات وما فى الأرض فى قبضته.

١١٠ ﴿كُنتم خير أُمة أُخرجت للناس..﴾أى كنتم فى علم الله كذلك، وهذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم، وإن كان الصحابة أفضلهم ﴿ولو آمن أهلُ الكتاب لكان خيرا لهم﴾وفى ذلك تهوين شأن هؤلاء الفاسقين فى نفوس المسلمين.

١١١ ﴿لن يضُرُّوكُم إلا أذى ..﴾ وأنواع الأذى وهو الكذب والتحريف والبهت ولا يقدرون على الضرر الذى هو الضرر فى الحقيقة بالحرب والنهب ونحوهما ﴿وإن يُقاتلوكُم يُولُوكُمُ الأدبار﴾أى ينهزمون وشأنهم الخزلان.

١١٢ ﴿ضُربتْ عليهمُ الذلّةُ أيْن ما ثُقفُوا ..﴾هذه الذلة صارت محيطة بهم وكتبت لهم مصيرا فهم فى أرض يذلون لا تعصمهم إلا ذمة الله وذمة المسلمين. ولكن لم تعاد أحدا فى الأرض عداءها للمسلمين ﴿وباءُوا بغضب مّن الله﴾ ﴿وضُربتْ عليْهمُ المسكنةُ﴾تعيش فى ضمائرهم وتكمن فى مشاعرهم.

١١٣ ﴿ليْسُوا سواء ..﴾وهى صورة مضيئة للمؤمنين من أهل الكتاب فقد آمنوا إيمانا صادقًا عميقا كاملا. ﴿يتْلُون آيات اللّه آناء اللّيْلِ وهُمْ يسْجُدُون﴾

١١٤ ﴿يُؤمنُون بالله والْيوْمِ الآخرِ ..﴾ وهو يوم القيامة ويأمرون باتباع النبى ﷺ ونهيهم مخالفته ويبادرون بالخيرات وأولئك مع الصالحين.

١١٥ ﴿وما يفْعلُوا منْ خيْرٍ فلن يُكفرُوهُ ..﴾أى خير كان فلن يعدموا ثوابه بل يجزون به وافيا.

معانى الكلمات:

تُرْجعُ الأُمُورُ تصير الأمور.

أذًى الضرر اليسير.

ضُربتْ عليْهمُ الذلّةُ أحاطت بهم.

باءُوا بغضبٍ رجعوا من رحلتهم الطويلة.

ليْسُوا سواءً غير متساوين.

آناء اللّيْلِ ساعات الليل.

ويُسارِعُون فِي الْخيْراتِ يبتدرونها خشية الفوات.

فلن يُكْفرُوهُ فلن يجحدوه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

١١٦ ﴿إنّ الذين كفروا لن تُغني عنهُم أموالُهم ولا أولادُهم ..﴾ وخص الأولاد لأنهم أحب القرابة إلى الإنسان وأرجاهم لدفع ما ينوبه.

١١٧ ﴿مثلُ ما يُنفقون في هذه الحَياة الدنيا ..﴾ ضرب الله تعالى مثلا لبطلان نفقات الكفار والمشركين وأعمالهم التى يرون أنها نافعة لهم فى الدنيا والآخرة ضرب لها مثلا: ريحا باردة شديدة البرودة أصابت زرع أناسٍ كاد يحصد وهم به فرحون فأفسدته تلك الريح وقضت عليه نهائيا. فلم ينتفعوا بشىء منه. ﴿وما ظلمهُمُ اللهُ ولكن أنفُسهُم يظلمُون﴾

١١٨ ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تتّخذُوا بطانة من دُونكُم﴾أى أفرادا من دونكم أى من غير أهل دينكم، كاليهود والنصارى والمنافقين والمشركين تستشيرونهم وتطلعونهم على أسراركم، ووصفهم تعالى تعريفا بهم فقال: ﴿لا يألونكُمْ خبالاً﴾يعنى لا يقصرون فى إفساد أموركم الدينية والدنيوية.

١١٩ ﴿ ها أنتُم أُولاء تُحبُّونهُم ولا يُحبُّونكُم ..﴾يناديهم الله تعالى: أيها الموالون لهم الذين اتخذتم منهم بطانة فما بالكم تحبونهم ولا يؤمنون بكتابكم ويقولون لكم آمنا نفاقا وتقية، أثم بعد ذلك الأسف والحسرة لأنهم يعجزون عن الانتقام منكم. والله متمم نعمته على المؤمنين ومظهر دينه فليزدادوا غيظا حتى يموتوا به.

١٢٠ ﴿إن تمسسكُم حسنة تسُؤهم﴾ فمن كانت هذه حالته لم يكن أهلا لأن يتخذ بطانة وها هو ذا كتاب الله يعلمنا - كيف نتقى كيدهم ﴿وإن تُصبكُم سيئة يفرحُوا بها وإن تصبرُوا وتتقُوا لا يضرُكُم كيدُهم شيئا إن الله بما يعملُون مُحيطٌ﴾.

الدرس الخامس: (معركة أحد)
من الآية (١٢١) إلى الآية (١٧٩)
مدة الحفظ: (ستة أيام)

١٢١ ﴿وإذ غدوت من أهلك تُبوئُ المُؤمنين مقاعد للقتال ..﴾ والإشارة هنا إلى غدو النبى ﷺ من بيت عائشة رضى الله عنها وقد لبس لامته ودرعه بعد التشاور فى الأمر، أيخرج إلى أبى سفيان الذى جمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش وأحلافهم ونزل قريبا من المدينة وكان رأيه ﷺ ألا يخرج بل يتحصن فى المدينة فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة والنساء من فوق البيوت. ووافق على هذا الرأى عبد الله بن أبى (رأس المنافقين) فبادرت جماعة كبيرة من الصحابة - ومعظمهم من الشبان ممن فاتهم يوم بدر - فأشاروا عليه بالخروج وألحوا عليه. وألقى عليهم درسا نبويا فى الشورى وقتها.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وإذ غدوت من أهلك﴾نزلت هذه الآية فى غزوة أحد قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عندما سئل عن قصة يوم أحد قال: اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجد ﴿وإذ غدوت من أهلك تُبوئُ المُؤمنين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمّ أنزل عليكُم من بعد الغمّ أمنةً نُعاسا﴾

معانى الكلمات:

صِرٌّ الريح الشديدة.

بطانة بطانة الرجل الذين يطلعهم على باطن أمره. مِن دُونكُمْ من غيركم. خبالاً فسادا. ودُّوا ظهرت. أُولاءِ هؤلاء. وإذْ غدوتَ الغدو: الذهاب أول النهار. تُبوئُ تنزل.

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

١٢٢ ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا ..﴾ وهاتان الطائفتان هما بنو حارثة وبنو سلمة أثرت فيهما حركة عبد الله بن أبى الذى انعزل بنحو ثلث العسكر قائلا: يخالفنى ويسمع للفتية. وكان جناحى العسكر يوم أحد أرادوا الرجوع عن الغزو مع النبى ﷺ فحفظ الله قلوب المؤمنين فلم يرجعوا.

١٢٣ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ..﴾ جملة مستأنفة سيقت لتصبيرهم بتذكير ما يترتب على الصبر من النصر.

١٢٤ ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم ..﴾ أى: اذكر إذ قلت يوم بدر للمؤمنين فيذكرهم الله سبحانه ويرد النصر إلى سببه الأول. لأن الله هو الفاعل وحده وعرفوا أنهم مأمورون من قبل الله باتخاذ الوسائل والأسباب.

١٢٥ ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ..﴾ تصبروا على شدة الحرب وتثبتوا فى المعركة ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ أى: إن يأتوكم من ساعتهم هذه ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾ بالملائكة فى حال إتيانهم، لا يتأخر عن ذلك ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أى معلمين أنفسهم بالعلامات وقيل: إن الملائكة يوم بدر اعتمت بعمائم بيض.

١٢٦ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ﴾ أى لتبشروا بأنكم تنصرون ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ أى بالإمداد ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ لا من عند غيره.

١٢٧ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ..﴾ أى نصركم الله ببدر ليقطع طائفة من الكفار وهم الذين قتلوا يوم بدر ومعنى ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يحزنهم ويضيق عليهم أمرهم فينقلبوا غير ظافرين بمطلبهم.

١٢٨ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ..﴾ إن الله مالك أمرهم يصنع بهم ما يشاء من الإهلاك أو الهزيمة أو التوبة إن أسلموا أو العذاب.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ عن أنس بن مالك قال: كسرت رباعية رسول الله ﷺ يوم أحد ودمى وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه ويقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ قال: فأنزل الله الآية. وهناك أقوال أخرى.

١٢٩ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ..﴾ والباب مفتوح أمام العباد لينالوا مغفرته.

١٣٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا ..﴾ إن النهى عن أكل الربا لأن الله يريد للأمة المسلمة سلامة الحياة الاقتصادية والسياسية.

١٣١ ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أى اتقوا الربا الذى ينزع منكم الإيمان فتستوجبون النار.

١٣٢ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فلا طاعة لله وللرسول فى مجتمع يقوم على النظام الربوى ولا طاعة لله وللرسول فى قلب يأكل الربا فى صورة من صوره.

معاني الكلمات:

إِذْ هَمَّت: حدثت نفسها.

تَفْشَلا: تضعفا.

طَّائِفَتَانِ: هما بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار.

بَلَى: حرف إجابة أى يكفيكم.

مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا: أى من وجههم.

مُسَوِّمِينَ: معلمين بعلامات.

أَوْ يَكْبِتَهُمْ: يخزيهم.

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

١٣٣ ﴿وسارِعُوا إلىٰ مغفرة من رَّبِّكُمْ ..﴾ سارعوا فهى هناك: المغفرة والجنة.

١٣٤ ﴿الَّذين يُنفقُون في السَّرَّاء والضَّرَّاء ..﴾ هؤلاء ثابتون على البذل لا تغيرهم السراء ولا تغيرهم الضراء. السراء لا تبطرهم فتلهيهم والضراء لا تضرهم فتنسيهم. وكظم الغيظ لا يكفى ثم العفو والسماحة والطلاقة فالذين يجودون بالمال فى السراء والضراء محسنون. والذين يجودون بالعفو والسماحة بعد الغيظ والكظم محسنون.

١٣٥ ﴿والَّذين إذا فعلوا فاحشةً ..﴾ أى فعلة فاحشة وهى كل معصية. وقد قصر اختصاصها بالزنى، لأنه من أشنع الفواحش. ﴿أوْ ظلمُوا أنفُسهُمْ﴾ باقتراف الذنوب ﴿ ذكَرُوا اللَّه﴾ بألسنتهم وقلوبهم ثم طلبوا المغفرة ولم يصروا على معاودة الذنب وعدم الإقلاع عنه بالتوبة.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿والَّذين إذا فعلُوا فاحشةً﴾ قال ابن عباس فى رواية عطاء: نزلت الآية فى نبهان التمار، أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها إلى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فأتى النبى ﷺ وذكر له (فنزلت الآية).

١٣٦ ﴿أولَٰئك جزاؤُهم مَّغْفرةٌ مّن رَّبّهمْ ..﴾ أى جزاء من عمل الصالحات المذكورة أن يمحى عنه ذنبه ويدخل الجنة. وهم ليسوا سلبيين بالاستغفار من المعصية. كما أنهم ليسوا سلبيين بالإنفاق فى السراء والضراء وكظم الغيظ والعفو عن الناس إنهم هم عاملون ﴿ونعْم أجْرُ العاملين﴾.

٢ - (أحداث المعركة)

من الآيات ١٣٧ إلى ١٤٨

١٣٧ ﴿ قدْ خلتْ من قبْلكُمْ سُنَنٌ ..﴾ إن ما جرى للمكذبين بالأمس سيجرى مثله للمكذبين اليوم وغدا، ذلك كى تطمئن قلوب الجماعة المسلمة إلى العاقبة وتحذر الانزلاق مع المكذبين.

١٣٨ ﴿هذا بيانٌ للنَّاس وهُدًى وموْعظةٌ لّلْمُتَّقين﴾ للناس كافة ولكن طائفة خاصة هى التى تجد فيه الهدى وتجد فيه الموعظة وتنتفع به وتصل على هداه... طائفة المتقين.

١٣٩ ﴿ولا تهِنُوا ولا تحْزنُوا وأنتُمُ الأعْلوْن إن كُنتُم مُّؤْمنين﴾ لا تهنوا من الوهن والضعف ولا تحزنوا مما أصابكم ولما فاتكم وأنتم الأعلون. فإن كنتم مؤمنين حقا فأنتم الأعلون وإن كنتم مؤمنين حقا فلا تهنوا ولا تحزنوا فإنما هى سنة الله أن تصابوا وتصيبوا.

١٤٠ ﴿ إن يمْسسْكُمْ قرْحٌ فقدْ مسّ القوْم قرْحٌ مّثْلُهُ ..﴾ إن الشدة بعد الرخاء والرخاء بعد الشدة هما اللذان يكشفان عن معادن النفوس عندئذ يتميز الصف وينكشف عن: المؤمنين والمنافقين والله يعلم ما تنطوى عليه الصدور ولكن الأحداث تكشف المخبوء ﴿ويتَّخذ منكُمْ شُهداء﴾ اختصهم الله ورزقهم الشهادة ﴿واللَّهُ لا يُحبُّ الظَّالمين﴾ وإن أظلم الظلم وأقبحه: الشرك.

معاني الكلمات:

أُعدّتْ هيئت.

والْكاظمين الْغيْظ كظم الغيظ: حبسه.

أوْ ظلمُوا أنفُسهُمْ بترك واجب أو فعل محرم.

قدْ خلتْ قد مضت.

ولا تهِنُوا لا تضعفوا.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

١٤١ ﴿ولُيمحص اللهُ الذين آمنُوا ويمحق الكافرين﴾ وهذا التمحيص يعلم المؤمنين من أنفسهم ما لم يكونوا يعلمون قبل هذا المحك المرير، محك الأحداث والتجارب والمواقف العملية الواقعية ﴿ويمحق الكافرين﴾ تحقيقا لسنته فى دفع الباطل بالحق متى استعلى الحق.

١٤٢ ﴿أم حسبتُم أن تدخُلُوا الجنة ..﴾ إنها التجربة الواقعية والامتحان العملى. فلا يكفى أن يجاهد المؤمنون إنما هو الصبر على تكاليف هذه الدعوة أيضا.

١٤٣ ﴿ولقد كُنتُم تمنّون الموت ..﴾ وهكذا أمام الموت الذى واجهوه فى المعركة وقد كانوا يتمنون لقاءه... فيعلمهم بذلك أن يحسبوا حسابا لكل كلمة تطلقها ألسنتهم ويزنوا حقيقة رصيدها الواقعى فى نفوسهم على ضوء ما واجهوه من حقيقتها حين واجهتهم وبذلك يقدرون قيمة الكلمة وقيمة الأمنية وقيمة الوعد.

١٤٤ ﴿وما محمّدٌ إلاَّ رسُولٌ قد خلتْ من قبله الرسل ...﴾ إن محمدًا ليس إلا رسولاً سبقته الرسل وقد مات الرسل ومحمد سيموت كما مات الرسل قبله... هذه حقيقة أولية بسيطة. ولكن فى المعركة أحس بعض المسلمين أن محمدًا قتل وبموته انتهى أمر الدين وانتهى أمر الجهاد للمشركين فيصور القرآن هذه الحركة النفسية بأنها حركة ارتداد على الأعقاب ﴿ومن ينقلبْ على عقبيْه فلن يضُرَّ اللهَ شيئًا﴾ فالله غنى عن الناس.

١٤٥ ﴿وما كان لنفسٍ أن تمُوت إلاَّ بإذْن اللهِ ..﴾ لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها المرسوم. بذلك تستقر حقيقة الأجل فى النفس فتترك الاشتغال به ولا تجعله فى الحساب.

١٤٦ ﴿وكأيّن مّن نّبيٍّ قاتل معهُ ربيُّون ..﴾ قاتل معه جماعات كثيرة فما ضعفت نفوسهم لما أصابهم من البلاء والكرب والشدة والجراح... فهذا شأن المؤمنين ﴿والله يُحبُّ الصَّابرين﴾ الذين لا تضعف نفوسهم.

١٤٧ ﴿وما كان قولَهُم إلاَّ أن قالُوا ربّنا اغْفر لنا ذُنُوبنا ..﴾ لم يطلبوا نعمة ولا ثراء بل لم يطلبوا ثوابا ولا جزاء وشهد لهم سبحانه بالإحسان فقد أحسنوا الأدب وأحسنوا الجهاد وأعلن حبه لهم ﴿واللهُ يُحبُّ المُحسنين﴾.

١٤٨ ﴿فآتاهُمُ اللهُ ثواب الدُنيا وحُسن ثواب الآخرة ..﴾ وثواب الدنيا بالنصر والتمكين وحسن ثواب الآخرة وهى رضوانه الذى أحله عليهم وهم فى الجنة دار المتقين والأبرار.

معانى الكلمات:

وليُمحّص ليخلص. ويمْحق يمحو.

أمْ حسبْتُم بل أظننتم.

ولمّا يعلمِ اللهُ ولم يبتلكم بالجهاد.

خلتْ مضت. انقلبْتُم رجعتم.

وكأيّن مّن نّبيٍّ تؤخذ للتكثير.

وما استْكانُوا لم يخضعوا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى
فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم
مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم
مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ
غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

٣- متابعة استعراض أحداث المعركة من الآية ١٤٩ إلى الآية ١٥٨

١٤٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا ..﴾ لأن طاعة الذين كفروا عاقبتها الخسارة المؤكدة، وليس فيها ربح ولا منفعة... فيها الانقلاب على الأعقاب إلى الكفر... ولكن الجهة التي يطلب المؤمنون عندها الولاية هي:

١٥٠ ﴿بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾ أى فلا ترجعوا إلى المشركين ولا تتولوهم وكونوا مع حزب الله. ثم يمضى السياق يثبت قلوب المسلمين ويبشرهم بإلقاء الرعب فى قلوب أعدائهم:

١٥١ ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب..﴾ ذلك فى الدنيا أما فى الآخرة... فهناك المصير المحزن البائس ﴿ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين﴾

سبب نزول قوله تعالى: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ قال السدى: لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا وقالوا: بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك (أنزل الله تعالى هذه الآية).

١٥٢ ﴿ولقد صدقكم الله وعده..﴾ وكان ذلك فى بداية المعركة حيث بدأ المسلمون (يحسون المشركين) أى يقتلونهم ويستأصلوهم ثم يعرض السياق لحال الرماة: ﴿حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر﴾ أى جبنتم. والتنازع هنا هو ما وقع بين الرماة حين قال بعضهم نلحق بالغنائم وقال بعضهم: نثبت فى مكاننا. ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ ما وقع لكم من النصر في الابتداء يوم أحد ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ الغنيمة ومنكم من يريد الأجر بالبقاء فى مراكزهم امتثالا لأمر رسول الله ﷺ ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ أى ردكم عنهم بالانهزام بعد أن استوليتم عليهم ليمتحنكم ﴿ولقد عفا عنكم﴾ لما علم من ندمكم فلم يستأصلكم بعد المعصية. (والمعصية أن الرماة لم يمتثلوا لأوامر الرسول) وقد قال لهم (إن رأيتمونا نغنم فلا تشركونا).

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد أصيبوا بما أصيبوا يوم أحد، قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر. فأنزل الله تعالى الآية.

١٥٣ ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ..﴾ هم مصعدون الجبل هربا من اضطراب ورعب ودهش. لا يلتفت أحد منهم لأحد ﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ يدعوهم ليطمئنهم على حياته بعدما صاح صائح: (إن محمدًا قد قتل) وكانت النهاية أن يجزيهم الله على الغم الذى تركوه فى نفس الرسول بفرارهم غما يملأ نفوسهم على ما كان منهم والله المطلع على الخفايا.

معانى الكلمات: يردوكم يرجعوكم.
مثوى الإقامة والاستقرار.
إذ تحسونهم تقتلونهم.
إذ تصعدون تذهبون فى الأرض فارين من المعركة.
ولا تلوون على أحد لا تلتفتون إليه.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا
قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٤ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا..﴾ لقد أعقبت هول الهزيمة وذعرها وهرجها ومرجها سكون عجيب، سكون فى نفوس المؤمنين الذين ثابوا إلى ربهم وثابوا إلى نبيهم لقد شملهم نعاس لطيف يستسلمون إليه مطمئنين. والنعاس حين يلم بالمجاهدين المرهقين المفزعين ولو لحظة واحدة يفعل فى كيانهم فعل السحر ويردهم خلقا جديدا ويسكب فى قلوبهم الطمأنينة. ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ وهؤلاء هم ذو الإيمان المزعزع لم تكتمل فى نفوسهم حقيقة الإيمان. فهم يقولون ﴿هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ ويرد على قولهم ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾. ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ﴾ فنفوسهم مليئة بالوساوس والهواجس ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ هنا يجيؤهم التصحيح العميق للأمر كله ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ أى لو لم تخرجوا إلى المعركة تلبية لنداء القيادة وكان أمركم كله لتقديركم. إنه قدر الله ووراءه حكمته.

١٥٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أى انهزموا يوم أحد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أوقعهم فى الخطيئة بسبب بعض ما كسبوا من الذنوب ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم واعتذارهم.

١٥٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ..﴾ إخوانهم فى الكفر أو فى النسب (أو فى المحبة) ولو ساروا فى الأرض للتجارة أو نحوها وخارجين للقتال فماتوا فى السفر أو قتلوا فى الحرب قالوا لعدم إيمانهم بقضاء الله وقدره ﴿لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لأنهم ظنوا أنهم لو لم يخرجوا ما ماتوا وما قتلوا حسرة ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ متى شاء وأين شاء فى الغزو وفى السفر وغيرهما فلا تكونوا أيها المؤمنون مثلهم ولا تتحسروا على من استشهد منكم وكونوا من الصابرين المؤمنين بأقدار الله.

١٥٧ ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ..﴾ فالموت أو القتل فى سبيل الله خير من الحياة وخير مما يجمعه الناس فى الحياة.

معانى الكلمات:

أَمَنَةً نُّعَاسًا: الأمنة: الأمن، والنعاس: استرخاء يصيب الجسم قبل النوم.

يَغْشَىٰ طَائِفَةً: يصيب.

ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ: هو اعتقادهم أن النبى قتل أو أنه لا ينصر.

لَبَرَزَ: لخرج. وَلِيُمَحِّصَ: ليميز.

اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ: أوقعهم فى الذلل.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

١٥٨ ﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾ ولو كان الموت أو القتل فى سبيل الله ﴿لإلى الله تحشرون﴾ حتما، ثم يتم لكم جزاء الله على استشهادكم وموتكم، ولنعم ما تجزون به فى جوار الله.

٤ ـ الرسول ﷺ وحقيقته النبوية الكريمة من الآيات ١٥٩ / ١٦٤

١٥٩ ﴿فبما رحمة من الله ..﴾ وهذه الرحمة من الله هى سبب لينه لأنه لو كان قاسيا جافا جافيا قاسى القلب غليظه ﴿لانفضوا من حولك﴾ أى تفرقوا عنك فاعف عن مسيئهم واستغفر لمذنبهم وشاور ذوى الرأى منهم وإذا بدا لك رأى راجح المصلحة فاعزم على تنفيذه متوكلا على ربك فإنه يحب المتوكلين.

١٦٠ ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم ..﴾ إن النصر بيد الله والخذلان كذلك فلا يطلب نصر إلا منه تعالى. ومن ثم يطلب إلى الإنسان أن يؤدى واجبه وأن يبذل جهده وأن يفى بالتزاماته ويتوكل على الله وحده فى إحداث النتائج.

١٦١ ﴿وما كان لنبيٍ أن يغلَّ﴾ أى يأخذ من الغنيمة خفية ﴿ومن يغلل﴾ يأتى يوم القيامة بما غل يحمله ثم يحاسبه عليه ويجزى كما تجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر ﴿وهم لا يظلمون﴾.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وما كان لنبيٍ أن يغلَّ﴾ قال ابن عباس: فقدت قطيفة حمراء يوم بدر مما أصيب من المشركين، فقال أناس: لعل النبى ﷺ أخذها فأنزل الله الآية. (وروايات أخرى).

١٦٢ ﴿أفمن اتبع رضوان الله ..﴾ لا يمكن لهؤلاء البررة المنزهين عن أن يمدوا أيديهم إلى ما يحرمه الله ـ كغيرهم ممن غل أو عصى.

١٦٣ ﴿هم درجات عند الله ..﴾ فدرجات من اتبع رضوان الله ليست كدرجات من باء بسخط من الله.

١٦٤ ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ..﴾ هذه منة من الله من أنفسهم أولا ثم ﴿يتلو عليهم آياته﴾ وهذه منة ثانية أى يتلو عليهم القرآن فيؤمنون ويكملون فى إيمانهم ويزكيهم من أضرار الشرك وظلمة الكفر بما يهديهم به وتتجلى هذه النعمة أكثر لمن يذكر حال العرب فى جاهليتهم ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ وهذا ختام الفقرة بالرجوع إلى محورها الأصيل: شخص الرسول ﷺ.

١٦٥ ﴿أو لما أصابتكم مصيبةٌ ..﴾ والمصيبة هنا هى الغلبة والقتل اللذين أصيبوا بهما يوم أحد ﴿قد أصبتم مثليها﴾ يوم بدر ﴿قلتم أنى هذا﴾ أى من أين أصابنا هذا الانهزام ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ بسبب اختلاف الرماة...

سبب نزول قوله تعالى: ﴿أو لما أصابتكم مصيبة﴾ قال ابن عباس: حدثنى عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون وفر أصحاب رسول الله وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه (فأنزل الله الآية).

معانى الكلمات:

لنت لهم: كنت رفيقا بهم.
فَظًّا: خشنا. لانفضوا: تفرقوا وذهبوا.
يغلَّ: يأخذ من الغنيمة خفية.
توفَّى: تجزى. رضوان الله: ما يوجب رضوانه من الإيمان والصدق والجهاد.
بسخط من الله: غضبه الشديد.
مثليها: ضعفيها.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

١٦٦ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ..﴾ أى يوم أحد من القتل والجراح والهزيمة فبقضاء الله وقدره وقيل بتخليته بينكم وبينهم. فهو لم يقع مصادفة ولا جزافا.

١٦٧ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ..﴾ والمراد بالمنافقين هنا عبد الله بن أبى وأصحابه ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ ادفعوا عن أنفسكم وأولادكم ودياركم إن كنتم لا تؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. قالوا: ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ لقاتلنا معكم ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾

١٦٨ ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا ..﴾ فهم لم يكتفوا بالتخلف بل راحوا يثيرون الزلزلة والحسرة فى قلوب الشهداء وأصحابهم ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فالموت يصيب المجاهد والقاعد، والشجاع والجبان، ولا يرده حرص، ولا حذر ولا يؤجله جبن ولا قعود.

٥ـ حقيقة الذين قتلوا فى سبيل الله من الآية ١٦٩/ ١٧٥

١٦٩ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ إنهم ليسوا أمواتا بل أحياء ولهم خصائص الحياة فهم ﴿يُرْزَقُونَ﴾ أرواحهم فى حواصل طير خضر يأكلون من ثمار الجنة ولذيذ العيش.

١٧٠ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ..﴾ إنهم فرحون بما أكرمهم الله تعالى به ويستبشرون بإخوانهم المؤمنين الذين خلفوهم فى الدنيا على الإيمان والجهاد بأنهم إذا لحقوا بهم لم يخافوا ولم يحزنوا لأجل ما يصيرون إليه من نعيم الجنة وكرامة الله تعالى لهم فيها.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا فى الجنة نرزق، لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا فى الحرب فقال الله عز وجل (أنا أبلغهم عنكم) وأنزل الآية. [أخرجه أبو داود (٢٥٢٠)، عبد بن حميد فى مسنده (٦٧٩)، وأبو يعلى (١٣٣١) من حديث ابن عباس].

١٧١ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ..﴾ مستبشرون فرحون بما ينعم الله عليهم ويزيدهم وأنه تعالى لا يضيع أجر المؤمنين شهداء وغير شهداء بل يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله.

١٧٢ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ..﴾ هؤلاء الذين حضروا غزوة أحد يوم السبت وخرجوا فى طلب أبى سفيان يوم الأحد وعلى رأسهم نبيهم محمد ﷺ وكانوا ما يزالون مثخنون بالجراح.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ عن عمرو بن دينار: أن رسول الله ﷺ استنفر الناس بعد أحد حين انصرف المشركون فاستجاب له سبعون رجلا فطلبهم فلقى أبو سفيان عيرا من خزاعة فقال لهم: إن لقيتم محمداً يطلبنى فأخبروه أنى فى جمع كثير فلقيهم النبى ﷺ فسألهم عن أبى سفيان فقالوا: لقيناه فى جمع كثير ونراك فى قلة ولا نأمنه عليك فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يطلبه فسبقه أبو سفيان فدخل مكة

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا
رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴿١٧٤﴾ إنما ذلكم الشيطان
يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴿١٧٥﴾
ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله
شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب
عظيم ﴿١٧٦﴾ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا
الله شيئا ولهم عذاب أليم ﴿١٧٧﴾ ولا يحسبن الذين كفروا
أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما
ولهم عذاب مهين ﴿١٧٨﴾ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما
أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم
على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله
ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ﴿١٧٩﴾ ولا
يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا
لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة
ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير ﴿١٨٠﴾

(فأنزل الله الآية)

١٧٣ ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم..﴾ المراد بالناس هنا أعرابى أرسله أبو سفيان (وقال) ﴿إن الناس﴾ هو أبو سفيان وأصحابه ﴿قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ فزادهم ذلك القول إيمانا ولم يؤثر فيهم خوفا ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ أى يكفينا الله شرهم وهو الذى نتوكل عليه ونسند أمورنا إليه.

معانى الكلمات:

أصابكم: ما يصيب الإنسان من سوء وأسوأها مصيبة الموت.

أنى هذا: أى من أين هذا.

فادرءوا: أى ادفعوا.

١٧٤ ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل..﴾ فأصابوا النجاة ـ لم يمسسهم سوء ـ ونالوا رضوان الله وعادوا بالنجاة والرضى. وأخيرا يختم هذه الفقرة بالكشف عن علة الخوف والفزع:

١٧٥ ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ..﴾ إن الشيطان هو الذى يضخم من شأن أوليائه وهو صاحب مصلحة فى أن يتنفس الباطل وأن يتضخم الشر وهو ماكر خادع غادر ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾

١٧٦ ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ فهؤلاء العباد المهازيل لا يبلغون أن يضروا الله شيئا فالذين يسارعون فى الكفر يحاربون الله وهم أضعف من أن يضروا الله شيئا وهم إذن لن يضروا دعوته ولن يضروا حملة دعوته ﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة﴾ وأن يحملوا وزرهم كله وأن يستحقوا عذابهم كله ﴿ولهم عذاب عظيم﴾

١٧٧ ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ..﴾ من أجل ذلك استحقوا أن يتركهم الله يسارعون فى الكفر ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أشد إيلاما بما لا يقاس مما يملكون إيقاعه بالمؤمنين من آلام.

١٧٨ ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم ..﴾ فبقدر ما تطول حياتهم يعظم ذنبهم وتكثر آثامهم وحينئذ يوبقون ويهلكون هلاكا لا نظير له والعذاب المهين لأنهم كانوا ذوى كبر وعلو فى الأرض وفساد. فلذا ناسب أن يكون فى عذابهم إهانات لهم.

١٧٩ ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ..﴾ ليس من شأنه تعالى أن يترك المؤمنين على ما هم عليه فيهم المؤمن الصادق والكاذب وهو المنافق بل لابد من الابتلاء ولا أن يدع الصف المسلم مختلطا غير مميز ولا أن يطلع البشر على الغيب الذي استأثر به ﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ ويتجه الله إلى الذين آمنوا ليحققوا فى ذواتهم مدلول الإيمان ومقتضاه ﴿فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم﴾

الدرس السادس
أفاعيل اليهود مع أنبيائهم
من الآية رقم ١٨٠ إلى ١٨٩
مدة الحفظ (يوم واحد)

١٨٠ ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ..﴾ هذا خبر عن البخلاء الذين يملكون المال ويبخلون وهذا البخل شر لهم لسببين: الأول ما يلحقهم فى الدنيا من معرة البخل والثانى أن الله سيعذبهم به بحيث يجعله طوقا من نار فى أعناقهم.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله﴾ أجمع جمهور المفسرين أنها نزلت فى مانعى

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

الزكاة. وروى عطية العوفى عن ابن عباس: أن الآية نزلت فى أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ وأراد بالبخل: كتمان العلم الذى آتاهم الله تعالى.

١٨١ ﴿لقدْ سمع اللَّهُ قوْلَ الَّذين قالُوا إنَّ اللَّه فقيرٌ..﴾ وقالوا فى وقاحة: ما بال الله يطلب إلينا أن نقرضه من مالنا ويعطينا الأضعاف المضاعفة وهو ينهى عن الربا؟ وهو تلاعب بالألفاظ ومن ثم يستحقون هذا التهديد المتلاحق ﴿سنكْتُبُ ما قالُوا﴾ لنحاسبهم عليه.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿لقدْ سمع اللَّهُ قوْلَ الَّذين قالُوا﴾ عن مجاهد قال: نزلت فى اليهود صك أبو بكر رضى الله عنه وجه رجل فيهم وهو الذى قال: إن الله فقير ونحن أغنياء. قال شبل: بلغنى أنه فنحاص اليهودى وهو الذى قال: ﴿يد الله مغلولة﴾ وفي رواية أنه قال لأبى بكر ﴿إنّ اللَّه فقيرٌ ونَحنُ أغْنياءُ﴾

١٨٢ ﴿ذلك بما قدَّمتْ أيْديكُمْ وأَنَّ اللَّه ليْس بظَلاَّمٍ لِّلْعبيد﴾ أى عذبهم عذاب الحريق بما أصابوا من الذنب وجازاهم على فعلهم. فلم يكن ذلك ظلما.

١٨٣ ﴿الَّذين قالُوا إنَّ اللَّه عهد إليْنا ألاَّ نُؤْمن لرسُول حتَّىٰ يأتينا بقُرْبان تأْكُلُهُ النَّارُ﴾ هم ادعوا أن لديهم من الله عهدا بذلك ولهذا رد الله عليهم ﴿قُلْ قدْ جاءكُم رُسُلٌ مّن قبْلي بالْبيِّنات وبالَّذي قُلْتُمْ فلم قتلْتُمُوهُمْ إن كُنتُمْ صادقين﴾

سبب نزول قوله تعالى ﴿الَّذين قالُوا إنَّ اللَّه عهد إليْنا﴾ قال الكلبى: نزلت فى اليهود الذين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك كتابا، وأن الله قد عهد إلينا فى التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فإن جئتنا به صدقناك (فأنزل الله الآية).

١٨٤ ﴿فإن كذَّبُوك فقدْ كُذّب رُسُلٌ مّن قبْلك ..﴾ فما أنت أول رسول يتلقى التكذيب فهذا هو طريق الرسالات وما فيه من عناء ومشقة... فاصبر على قولهم وجهادهم.

١٨٥ ﴿كُلُّ نفْسٍ ذائقةُ الْموْت ..﴾ الكل سيموت إنما الفارق فى شىء آخر فى المصير الأخير ﴿فمن زُحْزح عن النَّار﴾ وكأن للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها فهو فى حاجة إلى من يزحزحه قليلا... قليلا ليخلصه من جاذبيتها المهتومة! ﴿وما الْحياةُ الدُّنْيا إلاَّ متاعُ الْغُرُور﴾ إنها متاع ولكن ليس متاع الحقيقة وأما المتاع الحق هو الفوز بالجنة.

١٨٦ ﴿لتُبْلوُنَّ في أمْوالكُمْ وأنفُسكُمْ ..﴾ هذا الخطاب للنبى ﷺ وأمته تسلية لهم عما سيلقون من الكفرة الفسقة ليوطنوا أنفسهم على الثبات والصبر على المكاره ﴿الَّذين أُوتُوا الْكتاب من قبْلكُمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿ومن الَّذين أشْركُوا أذًى كثيرًا﴾ وهم سائر الطوائف الكفرية من غير أهل الكتاب ﴿أذًى كثيرًا﴾ من الطعن فى دينكم فإن الصبر والتقوى من عزم الأمور.

معانى الكلمات:

ولا يحْزُنك: الحزن غم يصيب النفس.

يُسارعُون: يبادرون.

حظًّا: نصيبا. نُمْلي لهُمْ: نمهلهم.

والزُّبُر: جمع زبور وهو الكتاب كصحف إبراهيم.

فإنَّ ذلك منْ عزْم الأُمُور: يريد به أن الصبر والتقوى من الأمور الواجبة.

والْكتاب الْمُنير: الواضح البين كالتوراة والإنجيل.

وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

١٨٧ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ..﴾ وهم اليهود والنصارى أخذ على علمائهم العهد المؤكد بأن يبينوا للناس نعوت النبى ﷺ فى كتابهم، وأن يؤمنوا به. فالآن ينكشف أنهم فعلوا هذه الفعلة الفاضحة ابتغاء ثمن قليل هو عرض من أعراض هذه الأرض ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾

١٨٨ ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ..﴾ هنا نجد نموذجا من الناس... نموذج الرجال الذين يعجزون عن احتمال تبعة الرأى وتكاليف العقيدة فيقعدون متخلفين عن الكفاح. هؤلاء الناس يؤكد الله للرسول ﷺ أنهم لا نجاة لهم من العذاب وأن الذى ينتظرهم عذاب أليم لا مفر لهم منه ولا معين.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ عن أبى سعيد الخدرى: أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج الرسول إلى الغزو تخلفوا عنه فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا (فنزلت الآية).

١٨٩ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أخبر الله تعالى أن له ملك السموات والأرض فدلل بذلك على قدرته على البطش بالقوم والانتقام منهم.

الدرس السابع

أفاعيل اليهود مع أنبيائهم وأقاويلهم على ربهم

من الآية رقم ١٩٠ إلى ٢٠٠

مدة الحفظ (يوم واحد)

١٩٠ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ..﴾ هى آية القدرة وآية الحق فى خلق السموات والأرض وإيجادها من العدم وفى اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والظلام والضياء لدليل على غنى الله وافتقار عباده وبراهين ساطعة على ربوبيته لخلقه.

١٩١ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ..﴾ وهذا شامل لحالهم فى الصلاة وخارج الصلاة ويتفكرون فى خلق السموات والأرض فى إيجادهما وتكوينهما وإبداعهما وعظيم خلقهما فلا يلبثون أن يقولوا ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ أى لا لحكمة مقصودة ولا لهدف مطلوب. بل خلقته بالحق.

١٩٢ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ..﴾ أى أذللته وأهنته.

١٩٣ ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا ..﴾ وهذا المنادى هو النبى ﷺ.

١٩٤ ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ ..﴾ والدعاء يمثل الاستجابة الصادقة العميقة لايحاء هذا الكون وإيقاع الحق الكامن فيه فى القلوب السليمة المفتوحة.

معانى الكلمات:

أَخْزَيْتَهُ: أذللته وأشقيته.

الأَبْرَارِ: جمع بر أو بار.

عَلَى رُسُلِكَ: على ألسنة رسلك من النصر والتأييد.

١٩٥ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم ..﴾ أى قبل دعوتهم بما يأتى من الوعد بل أجازى الكل بعمله لا أنقصه له، ذكرا كان أو أنثى لأن بعضكم من بعض فلا معنى للتفرقة بينكم، وذكر تعالى بعض أعمالهم الصالحة التى استوجبوا بها هذا الإنعام. إنه ليس مجرد التفكر ومجرد التدبر وليس مجرد الخشوع والارتجاف إنما هو العمل. الإيجاب العملى الذى ينشأ عن هذا التلقى. ثم تفصيل للعمل تتبين من تكاليف هذه العقيدة فى النفس والمال وأنها صورة أصحاب العقيدة فى صميمها فى كل أرض وفى كل زمان رغم أن مناسبة النزول كانت تخاطب هؤلاء الذين هاجروا من مكة وأخرجوا من ديارهم فى سبيل العقيدة.

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

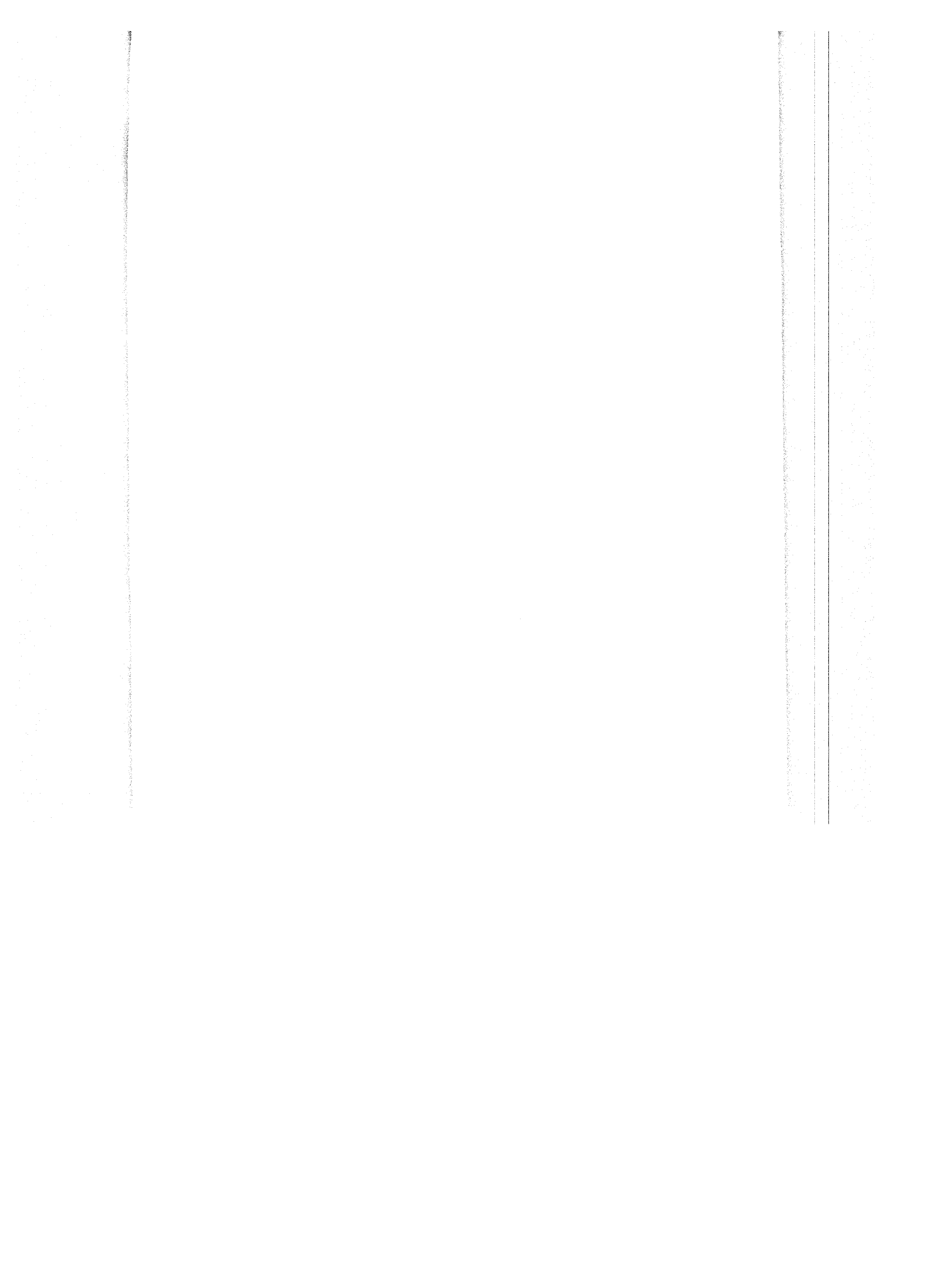
سبب نزول قوله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ قالت أم سلمة: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء (فانزل الله الآية).
ثم التفاتة واقعية إلى الفتنة المستكنة فى المتاع المتاح فى هذه الأرض للكفار والعصاة والمعادين لمنهج الله:
١٩٦ ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ تقلبهم أى بالأسفار للتجارة وقال عكرمة: تقلب ليلهم ونهارهم وما يجرى عليهم من النعم.
سبب نزول قوله تعالى: ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا﴾ نزلت فى مشركى مكة وذلك أنهم كانوا فى رخاء ولين من العيش وكانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا الجوع والجهد (فنزلت هذه الآية).
١٩٧ ﴿متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ متاع قليل... ينتهى ويذهب... أما المأوى الدائم الخالد فهو جهنم وبئس المهاد. والمهاد: ما مهدوا لأنفسهم فى جهنم بكفرهم.
١٩٨ ﴿لكن الذين اتقوا ربهم..﴾ هؤلاء لهم بالإضافة إلى ما يحصل لهم من الانتفاع الكثير الخلد الدائم.
وقبل ختام السورة يعود السياق إلى أهل الكتاب فيقرر أن فريقا منهم يؤمن إيمان المسلمين وقد انضم إلى موكب الإسلام وسار سيرتهم وله كذلك جزاؤهم.
١٩٩ ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله..﴾ بعض أهل الكتاب لهم حظ من الدين وليسوا كسائرهم. إن الحساب الختامى مع أهل الكتاب وقد ذكر من طوائفهم ومواقفهم فيما سبق من السورة الكثير.
سبب نزول قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ نزلت فى النجاشى، وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فى اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه (اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم) فقالوا: ومن هو؟ فقال (النجاشى) فخرج رسول الله ﷺ إلى البقيع وكشف له المدينة إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشى وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له وقال لأصحابه (استغفروا له) فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلى على علج حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه. (فأنزل الله الآية).
ثم يجىء الإيقاع الأخير فى نداء الله للذين آمنوا وتلخيص أعباء المنهج وشريط الطريق:
٢٠٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ اصبروا: حض على الصبر على الطاعات والشهوات. وصابروا: مصابرة الأعداء أى غالبوهم فى الصبر على الشدائد. ورابطوا: أى أقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها.
ومن ثم تختم السورة بالدعوة إلى الصبر والمصابرة وإلى المرابطة والتقوى فيكون هذا أنسب ختام ومن ثم يعلق الله عاقبة الشوط الطويل وينوط بها الفلاح فى هذا المضمار ﴿لعلكم تفلحون﴾ وصدق الله العظيم.
سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا..﴾ عن داود ابن صالح قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا ابن أخى هل تدرى فى أى شىء نزلت هذه الآية قال: قلت لا. قال: إنه يا ابن أخى لم يكن فى زمان النبى ﷺ غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلاة خلف الإمام.

معاني الكلمات:
وأوذوا في سبيلي: آذاهم المشركون.
لا يغرنك: لا يكن منك اغترار.
تقلب الذين كفروا: تصرفهم فيها بالتجارة والزراعة... إلخ.
خاشعين لله: مطيعين.

المراجع

الكتاب	المؤلف
فى ظلال القرآن	سيد قطب
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
تفسير المنار	محمد رشيد رضا
نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم	محمد الغزالى
أيسر التفاسير	أبو بكر الجزائرى
أسباب النزول	للنيسابورى

* * *



فهرس سورة البقرة وبرنامج الحفظ

فهرس سورة آل عمران وبرنامج الحفظ